السير ستيف ستيفنسون

أغاثا فتاة الألغاز

سرقة في شلالات نياغارا

بيع منها أكثر من مليون نسخة وترجمت إلى 23 لغة.

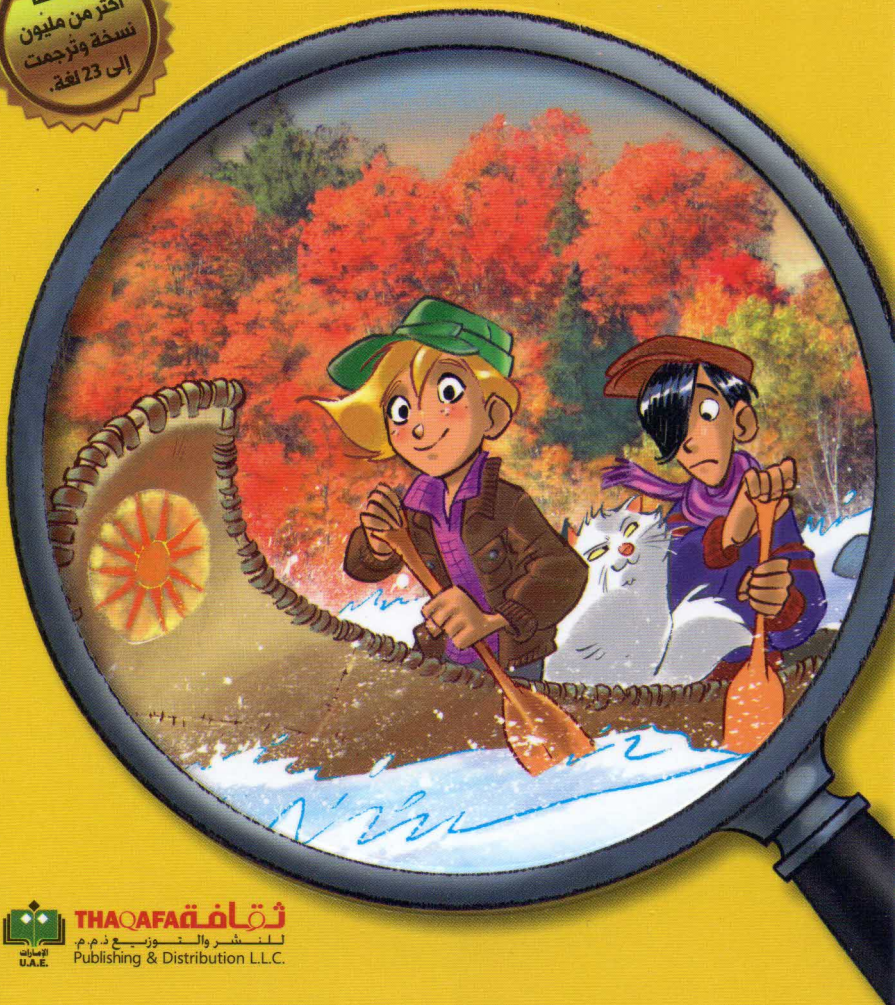

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.
الإمارات U.A.E.

أغاثا فتاة الألغاز

سرقة في شلالات نياغارا

التفتيش في الغابات الكندية الكثيفة والغامضة بحثاً عن سارق المجوهرات الشهير راتموسكيه!

صدر أيضاً من هذه السلسلة

ISBN 978-9948-02-416-3

SPOTLIGHT ON RIGHTS ©

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Publishing & Distribution L.L.C.

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com - www.nwf.com

أغاثا فتاة الألغاز

سرقة في شلالات نياغارا

العمة باتريسيا
العم رايموند

سكارليت
نونو غودفري

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الرواية الإيطالية
Agatha Mistery - Furto alle cascate del Niagara
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
© 2015 Atlantyca Dreamfarm s.r.l., Italia

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Arabic Copyright © 2016 by **Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L**

الطبعة الأولى
1437 هـ - 2016 م

ردمك 978-9948-02-416-3

© **2016** جميع حقوق الطبعة العربية محفوظة للناشر

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Publishing & Distribution L.L.C.
الإمارات U.A.E.

أبو ظبي هاتف: 6766700 (2-971+) فاكس: 6766972 (2-971+)
بيروت هاتف: 786233 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)

تم إصدار هذا الكتاب بدعم من برنامج «أضواء على حقوق النشر» في أبوظبي.
This edition has been produced with a subsidy by the Spotlight on Rights programme in Abu Dhabi

إن دار ثقافة للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء وأفكار المؤلف. وتعبّر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة أن تعبّر عن آراء الدار.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

فتاة أغاثا الألغاز

سرقة في شلالات نياغارا

تأليف: السير ستيف ستيفنسون

رسوم توضيحية: ستيفانو توركوني

SPOTLIGHT ON RIGHTS ©

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Publishing & Distribution L.L.C.
الإمارات U.A.E.

المهمة الثالثة

العملاء

أغاثا

فتاة طموحة في ربيعها الثاني عشر، مؤلفة قصص مثيرة، وتتمتع بذاكرة قوية.

داش

طالب في المدرسة الخاصة المرموقة، أكاديمية آي الدولية للتحقيق.

تشاندلر

كبير الخدم وملاكم سابق، وذو شخصية بريطانية أصيلة.

واتسون

هرّ سيبيريّ ذميم، ويملك حاسة شم كلب بوليسيّ.

سكارليت

صحافية استقصائية تسافر دوماً إلى أماكن بعيدة وغير اعتيادية.

الوجهة

شلالات نياغارا، كندا

الهدف

التفتيش في الغابات الكندية الكثيفة والغامضة بحثاً عن سارق المجوهرات الشهير راتموسكيه!

مقدمة

ويبدأ التحقيق...

فوق شوارع لندن، سطعت شمس الغروب المذهلة بأشعتها البرتقالية التي تسلّلت عبر شبكة من الأسلاك الكهربائية والنباتات المزروعة في منزل داشييل ميستري مقابل قصر بيكر. ولحسن الحظ، أخفى الضوء الساطع الفوضى التي تسيطر على غرفة الجلوس، لأن الشخص الوحيد الموجود فيها كرّس نفسه للقيام بأكثر عمل يجيده؛ ألا وهو إحداث المزيد من الفوضى.

إنه طويل القامة ونحيل، وذو شعر داكن منسدل دوماً فوق جبينه. كان داش ـ البالغ من العمر أربعة عشر عاماً ـ يعمل على سبعة أجهزة كمبيوتر في الوقت نفسه: موسيقى روك تصدح من iTunes ، ومحادثة مع الأصدقاء عبر الإنترنت، ودزينة من صفحات الويب المفتوحة في

الوقت نفسه، والأهم من كل شيء؛ تركيب برنامج جديد لجهاز الآي نت، الجهاز المتطور جداً الذي يُعطى للطلاب في أكاديمية آي الدولية للتحقيق التي يذهب إليها.

كان الجهاز النفيس المصنوع من التيتانيوم شبه مخبأ تحت علب البيتزا والجوارب، وكان يهتز بفعل التحميلات فائقة السرعة. وقد حرص داش على التحقق منه بين الفينة والأخرى للتأكد من حصول التحديث بطريقة جيدة. سوف تساعده البرامج الجديدة على مشاهدة الميكروفيلم من أي مكان في العالم، وعلى الاتصال بطريقة لاسلكية بأجهزة الآي نت الأخرى، وتعقب حركة الأقمار الاصطناعية في الوقت الحقيقي. والتحري الطموح يتحرق شوقاً لتجربة هذه المزايا الجديدة في تحقيق معين.

قال ضاحكاً: «انتبه إلى نفسك يا شارلوك هولمز. فسوف أصبح قريباً التحري الأكثر شهرة في كل لندن!».

أحس داش بالرضى، فرفع قدميه على المكتب، وأرجع ظهره إلى الخلف، متوازناً على عجلتَي كرسيه الخلفيتين. لكن، تبيّن أن هذه الحركة محفوفة بالمخاطر. فبعد قليل، تحطّمت المفاصل البلاستيكية للكرسي مصدرة صوت طقطقة. وسرعان ما وقع داش على ظهره على السجادة

المغبّرة، وجرّ معه شبكة من الكابلات والكمبيوترات والشاشات. قال متأوهاً: «يا إلهي!». فيما حاول تحرير نفسه من شبكة الأسلاك. لحسن الحظ، كانت أمه خارج المنزل، وبالتالي لا يوجد شهود... إنه لا يبدو حقّاً مثل أفضل تحرٍّ في لندن!

في تلك اللحظة بالتحديد، لمح داش شخصاً يقف خلف نباتات الياسمين المزروعة على المصطبة، فطرف عينيه بسبب أشعة الشمس الغاربة، واستطاع رؤية رجل يعتمر قبعة بنية اللون ويحمل كاميرا رقمية تخفي وجهه.

ومضت الكاميرا بسرعة عشر مرات متتالية، ثم انطلق الرجل الغامض بسرعة كبيرة.

صرخ داش: «هاي، توقّف! من منحك الإذن لـ... أوه، لا!». وعلق صوته في حنجرته. من الذي يرغب في تخليد مثل هذه اللحظة المحرجة؟

ثمة احتمال واحد فقط، وهو مرعب: لا بد أن مدرسته قد وضعته تحت المراقبة. إذ تملك أكاديمية آي الدولية للتحقيق أفضل الخبراء في هذا المجال!

نهض داش وأمسك بجهاز الآي نت، ثم انطلق مسرعاً إلى المصطبة. نظر إلى سلالم الطوارئ، فرأى الرجل صاحب القبعة البنية تحته بطابق واحد. لا يوجد وقت لإضاعته!

قال لنفسه: «ابقَ هادئاً، واتّبع الإجراءات الصحيحة».

إذ كان في الشهر الماضي قد شارك في دورة «للتعقب والهجوم المضلل» أعطاها العميل MP37، وتعلّم فيها القواعد الثلاث الرئيسة لدى تعقب شخص ما.

القاعدة الأولى: عدم لفت الانتباه أبداً.

القاعدة الثانية: عدم إضاعة الهدف.

القاعدة الثالثة...

أوه... لم يستطع داش تذكرها، فقال متذمراً: «عليّ دراسة الكتاب بشكل أفضل. تستطيع ابنة عمي أغاثا تخزين

كل تفصيل في أدراج ذاكرتها الشهيرة!».

نزل السلالم مسرعاً للوصول إلى الطابق تحته، فرأى باب المصعد يغلق في تلك اللحظة. وأشارت الأرقام المضاءة إلى أن المصعد متجه مباشرة إلى الطابق الأرضي.

عضّ داش شفته. ماذا سيفعل الآن؟!

ثم قال: «السلالم!».

نزل خمسة عشر طابقاً بسرعة البرق، ووصل إلى الردهة لاهثاً ومتعرقاً، ثم سأل الحاجب: «هل خرج من هنا رجل يعتمر قبعة بنية ويحمل كاميرا؟».

بدا الرجل العجوز متفاجئاً، وأجاب بصوت مرتعش: «هل تقصد السيد مارلو؟ حسناً، أعتقد أنه غادر للتو...»

برم داش عينيه، وانطلق عبر الباب الأمامي بسرعة البرق.

لم يصدّق ذلك.

السيد مارلو هو جاره المزعج... من الذي سيشك في أنه قد يكون جاسوساً لأكاديمية آي الدولية؟! فكّر داش في أنه من الأفضل إلقاء القبض عليه بسرعة، وإخباره بأنه قد تم فضح أمره، والتوسل إليه ليحذف الصور المحرجة!

وتذكّر الخطوات التي تعلّمها في صف «التعقب»، فتأمّل الشارع بعين ثاقبة، ولمح قبعة بنّية قرب لافتة مطعم. كان السيد مارلو يمشي بسرعة، ويتحقّق من ساعته كما لو أنه قد تأخر على موعد ما. ويبدو أنه لم يدرك أن داش يتعقبه.

قال الصبي لنفسه: «سأمسك بك أيها المتطفل المزعج!».

انتقلا من منعطف إلى آخر، وتوجّها إلى الشوارع الخلفية المقفرة. وأخيراً، دخل السيد مارلو «ذا كينغس هيد»؛ أحد المقاهي الشعبية في وسط لندن.

توقّف داش للتفكير في خطوته التالية. ما هي القاعدة الثالثة في مبدأ التعقب؟ هل يفترض به التسلل إلى الداخل أم الانتظار ريثما يخرج هدفه مجدداً؟

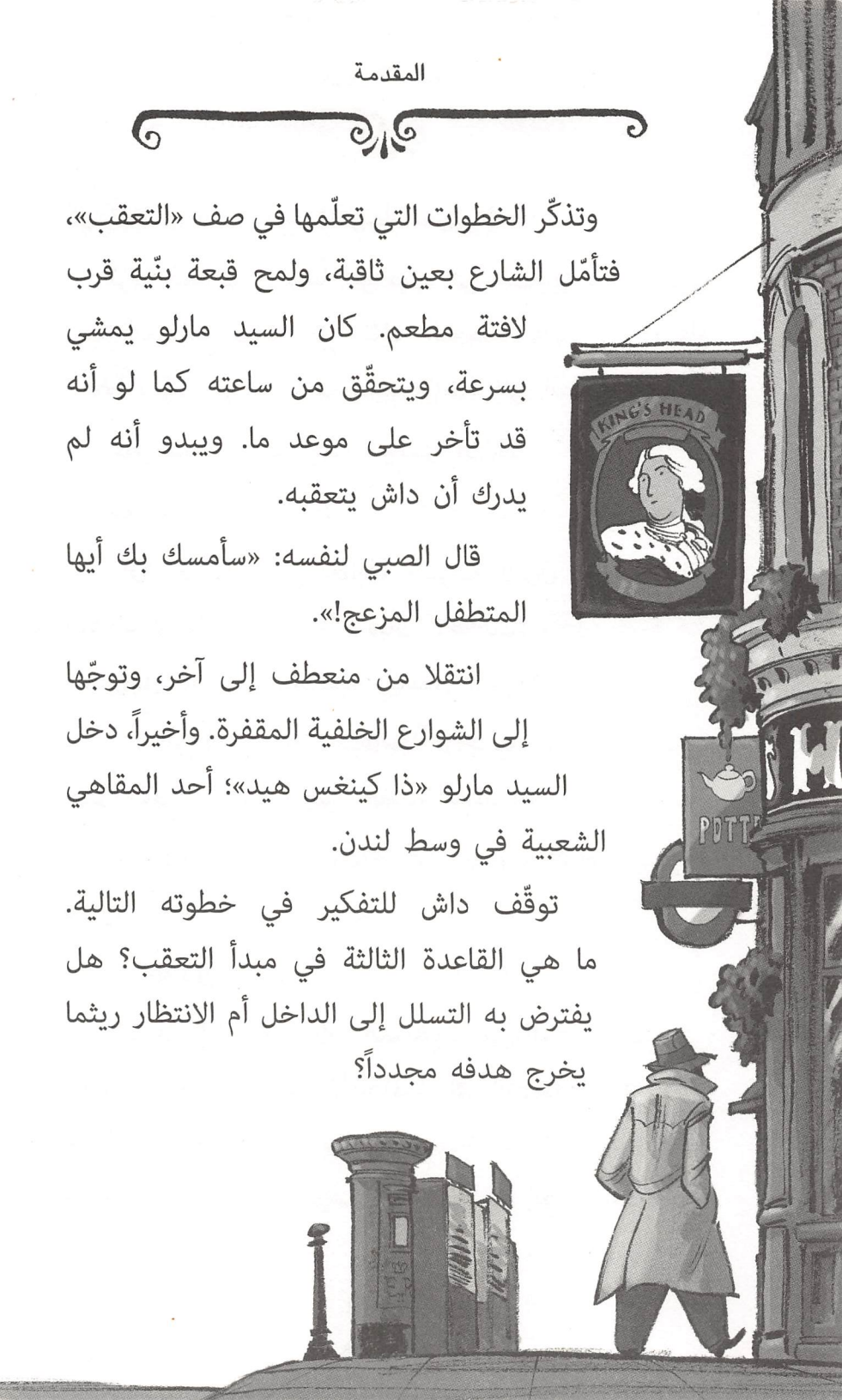

وبعد أن تردّد لفترة وجيزة، قرّر التحرك ببطء والوقوف أمام نافذة المقهى للتحقق مما يفعله السيد مارلو، فرآه يتحدث إلى امرأة ذات شعر أشقر، ترتدي معطفاً رمادياً طويلاً جداً، وتضع نظارة شمسية كبيرة جداً. لم يكن بالإمكان التعرف إلى قسماتها بسبب تنكرها. لا شك في أنها عميلة لأكاديمية آي الدولية.

ارتعد داش حين تذكّر وقوعه الكارثي، وقال لنفسه: «لا بد أنه يعطيها الكاميرا! سيتم طردي بسبب حماقتي!».

فجأة، نظرت المرأة إلى النافذة مباشرة، فاختبأ داش خلف أنبوب صدئ كي لا يتم فضح أمره. وفي تلك اللحظة تحديداً، خطرت في باله القاعدة الثالثة في درس التعقب: الانتباه إلى عدم الوقوع في الفخ.

لذا، تمتم فيما كان يمرر يده عبر شعره: «لقد تم إحضاري إلى هنا لسبب معين! عليّ المغادرة فوراً».

وفيما كان يمشي في الشارع وهو يصفر ويبذل ما بوسعه ليبدو غير مبالٍ، خرج السيد مارلو وشريكته من المقهى. عندها، اختبأ داش فوراً في مستوعب للنفايات، وغطى نفسه بأكياس النفايات المقرفة، وارتعد لدى تفكيره في إمكانية أن يفضح أمره، وفكّر في سرّه: «لا، لا، لا. لا

أريد أن يتم طردي!». ثم اختلس النظر من تحت الغطاء.

لحسن الحظ، اختفى عميلا أكاديمية آي الدولية خلف المنعطف، فتنهد داش ارتياحاً، وخرج من مستوعب النفايات،

وقال فرحاً فيما كان يمسح الأوساخ عن ملابسه: «ههه! لقد تم اختبار قدراتي، ولكنني نجحت في الامتحان!».

وبالكاد تسنى له الوقت لإكمال جملته حين بدأ جهاز الآي نت يرنّ. ظن داش أن أستاذ مادة «التعقب والهجوم المضلل» يتصل به لتهنئته، ولكن ظهرت رسالة على الشاشة، فأصبح وجهه شاحباً، وقال لنفسه: «مهمة طارئة في شلالات نياغارا! وها أنا مغطى بالنفايات!».

أبعد قشرة موز عن كمه، ثم غادر بسرعة البرق. ثمة أمر واحد يعرفه من دون ريب؛ وهو أنه سيضيع حتماً من دون مساعدة ابنه عمه الرائعة أغاثا ميستري!

الفصل الأول

وصول غير متوقع ورحيل مستعجل

يقع قصر آل ميستري جنوب نهر التايمز في لندن. وهو قصر قديم، سقفه مغطى بالخزامى، كما أنه محاط بحديقة خضراء كبيرة. يظنّ المارة خطأ أنها حديقة عامة، فيتوقّفون خارج البوابة الحديدية العملاقة للتحقق من الساعات التي تفتح فيها هذه الحديقة أبوابها. وحين لا يعثرون على أية لافتة، يتابعون طريقهم خائبي الأمل، ويتنقلون بين صفوف المباني الداكنة المؤطرة للشارع.

حتّى إنّه لا يبدو أنّ هناك جرساً للباب، رغم أن هناك واحداً بالتأكيد، ولكنّه مخبأ بذكاء داخل عمود حجري. فقد حرص السيد والسيدة ميستري على التمتع بالسلام المطلق خلال فترة إقامتهما الوجيزة في لندن. فهما يسافران كثيراً من دون كلل أو ملل، ويتنقلان دوماً من مكان إلى آخر

بغرض العمل. وها هما الآن في غابات فنلندا البرية، يدرسان هجرة الإوز البري وحيوانات الرنة. وهكذا، لم يبقَ أحد في المنزل سوى ابنتهما الوحيدة أغاثا البالغة من العمر اثني عشر عاماً، مع كبير الخدم تشاندلر، وواتسون الهر السيبيري المدلل.

وفي ذلك اليوم البارد من شهر أكتوبر، قررت أغاثا فهرسة كل الكتب الموجودة في مكتبة العائلة. لذا، بدأت بالعمل في الصباح الباكر، وظلّت تتجول في الغرفة العملاقة حاملة دفترها الذي لا يفارقها أبداً. فطوال أجيال عدة، لم ينجز أحد جردة كاملة للموسوعات، والقصص، والمجلات المكدسة على الرفوف.

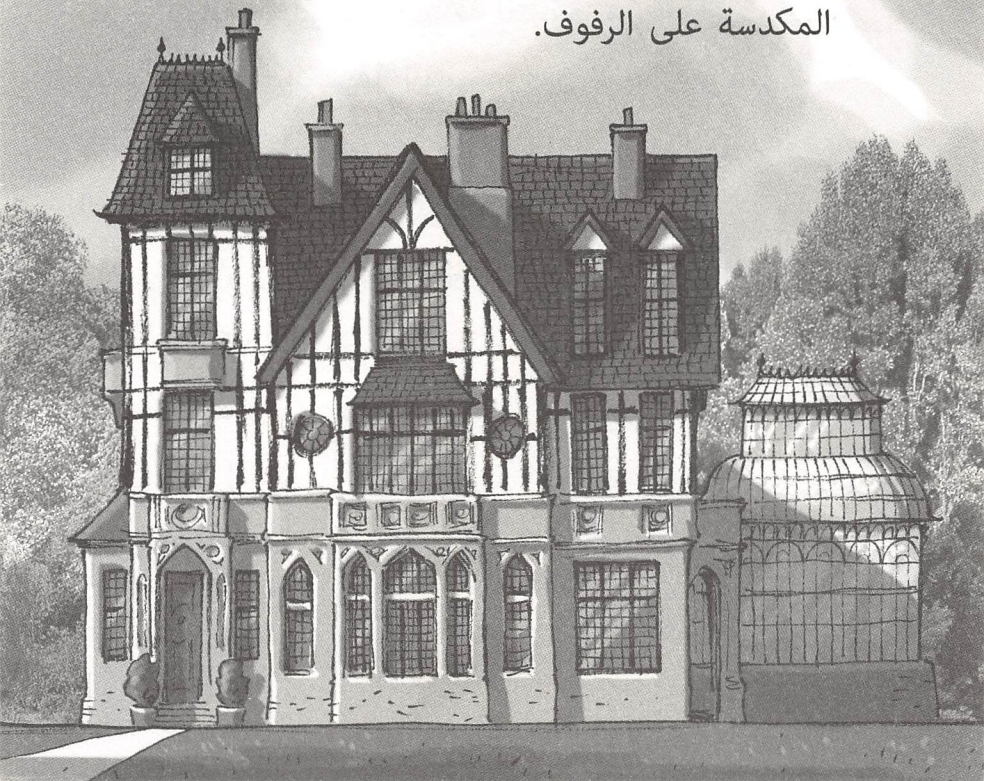

كانت أغاثا قارئة نهمة، وتتميز بقدرتها على تخزين كل المعلومات التي تجدها في الكتب داخل أدراج ذاكرتها الشهيرة، فتصبح تلك المعلومات مفيدة لاحقاً في أي تحقيق. ركعت على ركبتيها، وراحت تدوّن عناوين الكتب الموضوعة على الرف السفلي.

نظر إليها واتسون بفضول، فيما كان يلعب بسعادة بكرة صوفية راحت تتدحرج على السجادة الفارسية.

قالت الفتاة لكبير الخدم: «أصبح المكان معتماً هنا. هل يمكنك إضاءة الأنوار من فضلك؟».

بقي تشاندلر صامتاً مثل الظل، وعدّل ربطة عنق بذلة التوكسيدو التي يرتديها، ثم توجّه نحو الباب، ونقر على مجموعة من المفاتيح، فأنارت ثريات الكريستال البوهيمي الفخمة كل الغرفة بضوء ساطع. قال فيما كان ينظر حوله في أرجاء المكتبة: «آنسة أغاثا، هل أستطيع المغادرة لتحضير العشاء؟». إذ كانت الساعة الكبيرة تشير إلى أن الوقت قد تجاوز السابعة. وفي مثل هذا الوقت عادة، يكون واقفاً أمام الفرن لتحضير الطعام اللذيذ، وهو يلفّ حول خصره المئزر المطبع بالمربعات.

إلا أن أغاثا كانت تربّت على أنفها الصغير، وهذه إشارة واضحة إلى أنها تفكّر بعمق.

عندها، تنحنح كبير الخدم وأضاف: «هل تحبين السلمون المدخن؟».

فهزّت أغاثا شعرها الأشقر المجعد كما لو أنها قد استيقظت من حلم يقظة، وقالت له: «هذا خيار ممتاز يا تشاندلر! أتمنى أن تحضّره مع صلصة الليمون والزبدة الشهيرة! لكن، قبل أن تغادر...»

«قبل أن أغادر!».

فأشارت الفتاة إلى رفٍّ عالٍ ومليء بالكتب الملونة، حيث كانت بحاجة إلى سلم للوصول إليها. ثمّ خلعت حذاءها، وحدقت إلى كبير الخدم ضخم البنية وسألته: «هل يمكنك رفعي إلى هناك على كتفيك؟».

ومن دون أن يرفّ له جفن، رفع تشاندلر سيدته الصغيرة إلى الأعلى على كتفيه الضخمتين. فقد كان في ما مضى بطلاً في الملاكمة للوزن الثقيل!

وسألها بتهذيب: «هل أنت مرتاحة يا آنسة أغاثا؟».

لكن بدلاً من الإجابة، رفعت أغاثا نفسها على أطراف

أصابعها، وأمسكت بأحد الكتب وقالت: «مذهل!». ثم راحت تقلّب صفحات كتاب طبي وقالت: «سيكون هذا مفيداً لروايتي الجديدة!».

لم تفاجئ هذه العبارة تشاندلر مطلقاً.

فكما هي حال كل فرد في عائلة ميستري، اختارت أغاثا مهنة غير اعتيادية. إذ أرادت أن تصبح أعظم مؤلفة روايات بوليسية في العالم!

أعطت كبير الخدم الكتاب الطبي، فحدّق إلى غلافه مذهولاً، ثم قال بتردد: «ممم... اعذريني آنستي...»

«ما الأمر تشاندلر؟».

«أستميحك عذراً، لكنني أتساءل: كيف تنوين قراءة هذه اللغة الغريبة؟».

«أتقصد الألمانية القديمة؟».

أطبق تشاندلر فمه ولم ينبس ببنت شفة؛ إذ لم تعد مواهب أغاثا الكثيرة تذهله بعد أن رآها يومياً قيد التطبيق: ذاكرة حادة جداً، وحدس مذهل، وانتباه كبير إلى التفاصيل...

اعترفت أغاثا: «أنا لا أجيدها بطلاقة. ولكنّ تعلمها

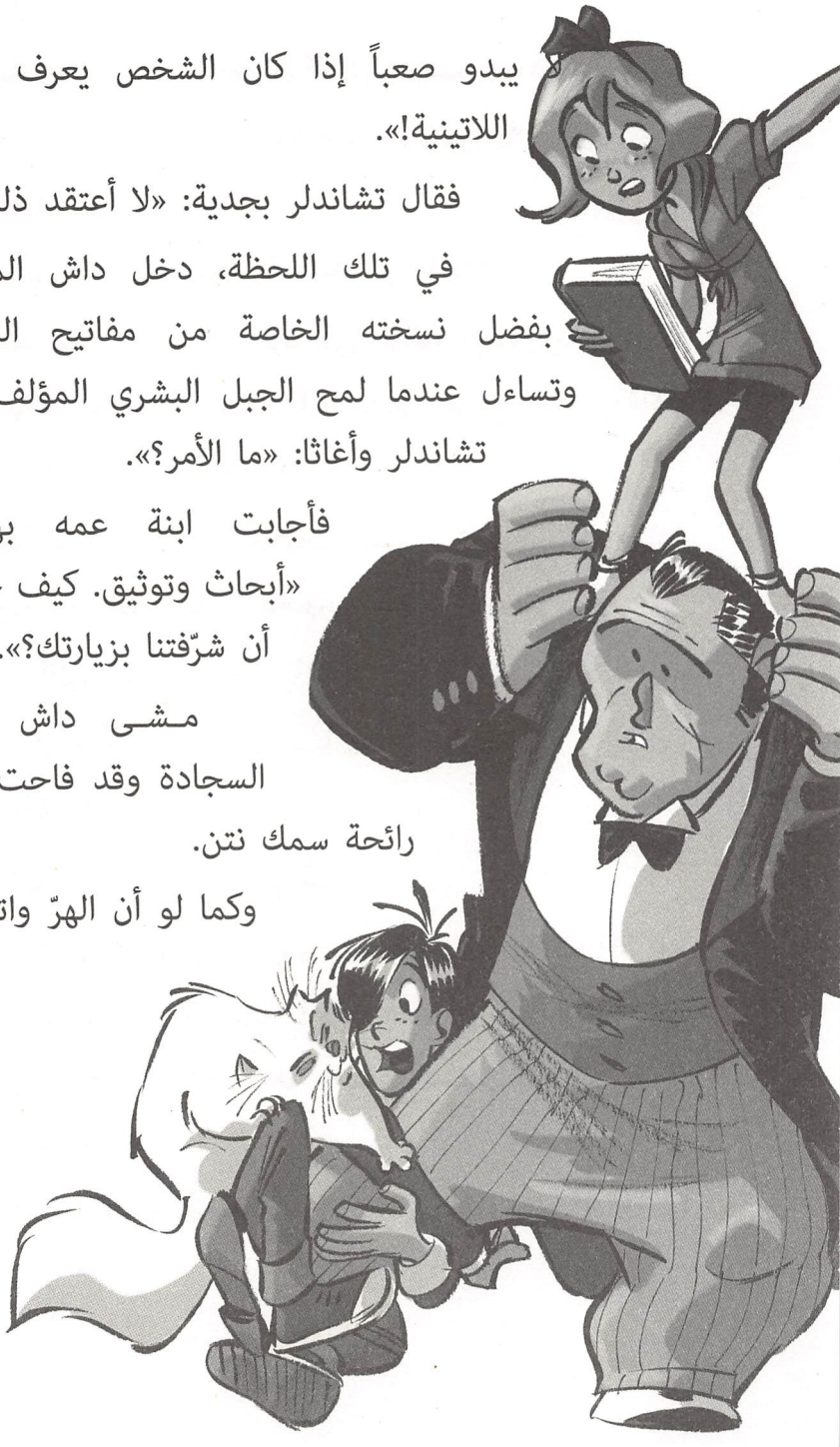

لا يبدو صعباً إذا كان الشخص يعرف اللغة اللاتينية!».

فقال تشاندلر بجدية: «لا أعتقد ذلك».

في تلك اللحظة، دخل داش المكتبة بفضل نسخته الخاصة من مفاتيح المنزل، وتساءل عندما لمح الجبل البشري المؤلف من تشاندلر وأغاثا: «ما الأمر؟».

فأجابت ابنة عمه بهدوء: «أبحاث وتوثيق. كيف حصل أن شرّفتنا بزيارتك؟».

مشى داش على السجادة وقد فاحت منه رائحة سمك نتن.

وكما لو أن الهرّ واتسون

انجذب إليه بفعل مغناطيس قوي، قفز نحوه وبدأ يشمه.

فصرخ التحري الشاب، وأمسك بساق تشاندلر مذعوراً.

ها قد أصبح الجبل الآن مؤلفاً من ثلاثة أشخاص وهرّ أبيض ضخم!

صرخ داش الذي يخاف جداً من خدع واتسون: «أبعد هذا الوحش!».

عندها، نزلت أغاثا إلى الأسفل، وربتت على فرو واتسون الناعم، ثم قالت وقد سدّت أنفها: «داش، رائحتك مقرفة! هل توقفت للسباحة في مطمر للنفايات؟».

فسعل داش بطريقة غريبة، ثم أجاب: «شيء من هذا القبيل. فقد اختبأت في مستوعب للنفايات. هل رائحتي كريهة جداً حقاً؟».

«إنها أسوأ ممّا تتخيّل! عليك أن تذهب فوراً للاستحمام في المغطس بعد أن تملأه بقنينة كاملة من سائل الاستحمام المعطر». وضحكت ثم تابعت: «دعني أحزر. نحن على وشك الذهاب إلى مكان بعيد جداً، أليس كذلك؟».

«أنت تجيدين قراءة الأفكار».

«متى موعد رحلتنا؟».

«بعد ثلاث ساعات».

«وإلى أين سنذهب؟».

«إلى شلالات نياغارا».

كشفت أغاثا عن ابتسامة مشرقة، وقالت فرحة: «رائع! لم نذهب إلى هناك قطّ!». ثمّ أومأت برأسها إلى تشاندلر وتابعت: «أرجو أن تضع في الحقيبة كنزات سميكة، ومعاطف واقية من المطر. وأخشى القول إنه علينا تأجيل وجبة السلمون المدخن».

فأومأ برأسه وذهب لتوضيب الحقائب.

قالت أغاثا وهي تتوجّه مع داش إلى غرفة الجلوس: «هل قلت شلالات نياغارا؟ أتعني الجهة الأميركية أو الكندية؟».

فاعترف داش: «لا أعرف فعلاً».

عندها، قالت أغاثا شاردة: «إذا خدمتني ذاكرتي جيداً، إن نهر نياغارا يتدفق على الحدود بين البلدين. الشاطئ الغربي موجود في الأرض الكندية، فيما الشاطئ الشرقي في الولايات المتحدة».

فقال داش: «دعيني أتحقق». ثم راجع معطيات المهمة

الموجودة على جهازه الإلكتروني المتطور، وتابع: «رحلة من دون توقف من لندن إلى مطار جون كيندي في نيويورك، ثم سنسافر في رحلة داخلية إلى بافلو؛ وهي مدينة أميركية غير بعيدة عن الشلالات...» ورفع عينيه متعجباً وقال: «ذاكرتك محققة دوماً. الفندق الذي سنمكث فيه موجود في كندا!».

فقالت أغاثا: «ممتاز! والآن، علينا فقط الاتصال بقريب لنا موجود في المنطقة هناك».

ومن دون التفوه بأي كلمة إضافية، ذهبت للتحقق من شجرة العائلة التي ذُكِر فيها موقع كل فرد من أفراد عائلة ميستري، ووظيفته، وصلة القربى التي تجمعهم به.

قالت أغاثا وهي تشير إلى اسم معين: «حسناً، في منطقة البحيرات الكبرى، لدينا ابنة عم اسمها سكارليت ميستري. وانظر، إنها صحافية. أراهن أنها ستكون مفيدة لنا!». ثم أمسكت بهاتفها وطلبت الرقم بسرعة.

جلس داش على كرسي ضخم محاولاً استيعاب المحادثة، لكنّ أغاثا تحدثت بسرعة كبيرة، فلم يستطع أن يسمع إلا كلامها.

وبعد لحظات، أنهت الاتصال، وبدت فرحة جداً.

«سكارليت ميستري تكتب في مجلة اسمها جولات حول العالم، وهي متخصصة في أسفار المغامرات!».

تنهد التحري المتدرب وقال: «وظيفة أخرى غريبة في العائلة. تماماً مثلنا أنا وأنت».

تابعت أغاثا قائلة: «سوف تلاقينا في بافلو، وستأخذنا في جولة إلى شلالات نياغارا. أتحرق شوقاً للقائها، فهي تبدو لطيفة فعلاً!».

سأل داش وهو يشعر بالقلق: «هل أخبرتها بما سنفعله؟». إذ كان يشعر بالتوتر دوماً في بداية كل تحقيق لأنه لا يريد أن تكتشف مدرسته كم يعتمد على مساعدة ابنة عمه وأفراد عائلته.

أجابت أغاثا: «وبماذا سأخبرها؟ لا أعرف أي شيء عن المهمة بعد!».

في تلك اللحظة، قاطعهما تشاندلر الذي كان يجرّ حقيبة ذات عجلات ويحمل قفص الهرّ واتسون، وقال معتذراً: «آسف جداً، لكنني لم أستطع العثور على أي ملابس سميكة مناسبة لك يا سيد داش. ولا أعتقد أن

ملابسك التي أحضرتها من مصر ستكون جيدة».

فقالت أغاثا بطريقة دبلوماسية: «لا يهم. لقد نفد منا الوقت على أية حال».

لحق داش بالآخريْن إلى المرأب، وركب في سيارة الليموزين التي يقودها تشاندلر، فانطلقت السيارة بسرعة عبر زحمة سير لندن.

وصلوا إلى مطار هيثرو في وقت قياسي، واشتروا تذاكر سفرهم، وركبوا في الدقيقة الأخيرة على متن طائرة بوينغ 747 تابعة للخطوط البريطانية.

لحسن الحظ، كانت مقاعد الدرجة الأولى فارغة تقريباً، واستطاعوا التكلم من دون أن يقلقوا من وجود آذان متطفلة تسمعهم.

سألت أغاثا بعد أن ثبتوا جميعاً أحزمة الأمان: «هل يمكنك إخبارنا عن مستوعب النفايات الآن؟».

فتمتم داش: «أوه، إنها قصة طويلة».

عندها، هزّت أغاثا كتفها قائلة: «والرحلة طويلة أيضاً».

شمّ داش كمه باشمئزاز، ثم أخبرهما عن السيد مارلو؛ الجاسوس الغامض الذي التقى المرأة الشقراء، وعن المخبأ

الذي وجده. وقال مبتسماً ابتسامة عريضة: «لكنّني تفوقت على المحترفين. وسوف أنال علامة ممتازة في مادة «التعقب والهجوم المضلل»!».

أخرج واتسون أحد مخالبه من داخل قفصه لالتقاط فتات سمك عالق على كنزة داش، ووضع ما التقطه في فمه وقرقر راضياً.

الفصل الثاني

مسح السماء

قال داش فيما ابتلع آخر لقمة من شطيرته: «يوجد فعلاً الكثير من الأمور الغريبة بشأن هذا التحقيق!». ثم ارتشف القليل من الليموناضة، وأعطى المضيفة صينية الطعام الخاصة به.

وفيما مشت المضيفة في ممر الطائرة، لوّحت بيدها أمام أنفها؛ فالرائحة الكريهة التي تفوح من ملابس التحري الشاب باتت لا تحتمل.

كانت أغاثا معتادة على الأوضاع المحرجة التي يضع ابن عمها نفسه فيها، وقررت تجاهل الأمر. وسألت فيما نقرت بأصابعها على مسند الكرسي: «أي نوع من الأشياء الغريبة؟».

همس: «اقرئي هذا».

ظهرت على شاشة جهاز الآي نت الرسالة التي أرسلتها مدرسة التحري:

حضرة العميل DM14،

حصلت سرقة في فندق أوفرلوك في شلالات نياغارا، وترغب الضحية في عدم إبلاغ الشرطة لتفادي لفت انتباه وسائل الإعلام. لذا، يُرجى منك التوجّه إلى الموقع فوراً، وكشف المذنب، واستعادة الأغراض المسروقة بأسرع وقت ممكن.

ملاحظة: سيتم تزويدك بتفاصيل المهمة من قبل رئيس القسم -5.

رفع تشاندلر حاجبه في وجهه المتحجر، وسأل داش مستغرباً: «ما الذي يعنيه «القسم -5» سيد داش؟».

عندها، ابتسم داش وقال بخجل: «طرحتُ على نفسي السؤال ذاته، ثم اكتشفت الجواب بمنطق بسيط...»

فهمت أغاثا فوراً مغزى الكلام، فقالت لكبير الخدم: «إنه يتحدث عن خط التصنيف الجغرافي. فشلالات نياغارا ـ تماماً مثل بقية المناطق الشرقية في شمال أميركا ـ تقع

في منطقة زمنية تسبق لندن بخمس ساعات، ولذلك أتخيل أن القسم مصنّف على أنه -5 لهذا السبب».

أكّد داش كلام ابنة عمه متذمراً: «أصبت يا ابنة عمي. تستخدم أكاديمية آي الدولية هذا النظام في الترقيم مع كل عملائها في أنحاء العالم!».

فسألت أغاثا: «وما الغريب إذاً؟».

عندها، ابتسم داش ابتسامة عريضة وقال: «انتظري إلى أن تسمعي تقرير المسؤول عن القسم -5، وسوف تدركين ما قصدته».

نظر الفتى إلى المقاعد الأخرى للتأكد من عدم إنصات أحد إلى حديثهم، ثم فتّش في جيوبه إلى أن عثر على سمّاعتين صغيرتين للأذنين وأعطاهما إياهما قائلاً: «هاتان السماعتان الصغيرتان تتصلان بجهاز الآي نت الخاص بي بطريقة لاسلكية. هل أنتما مستعدان لتجربة تكنولوجيا الغد؟». وكاد يقفز في مكانه نتيجة الحماسة التي شعر بها.

لم تكن أغاثا ممن يتأثرون بالأجهزة التكنولوجية المتطورة كثيراً، ولذلك أخذت وقتها. وضعت سماعتَي الأذنين، ثم بحثت في حقيبتها عن دفترها وفتحته بهدوء

على صفحة بيضاء. وبعد أن نزعت الغطاء عن قلمها المفضل، قالت لداش: «حسناً، يمكننا البدء».

أطاع داش على الفور، وضغط على زر.

سمعوا تشويشاً كهربائياً، ثم بدأ صوت يتكلم.

«شششش... هنا العميل RM53، رئيس... شششش... القسم -5. في هذا الوقت، أنا منهمك في... شششش... تحقيق بعيد. لذا، أطلب المساعدة في تحقيقي حول سرقة جوهرة مهمة في شلالات نياغارا. الضحية امرأة نمساوية، واسمها هيلغا هوفستيتر... شششش... وهي نزيلة في فندق أوفرلوك، وتقوم بجولة عالمية. سوف تجدون تقريراً مفصلاً عنها... شششش... في الملف...»

تلا ذلك صمت طويل. وعندما تابع الكلام، باتت عبارات العميل غير مفهومة البتة.

«شششش... الاتصال سيئ جداً، وعليّ الاكتفاء بالتفاصيل الأساسية. عندما حصلت السرقة، بين الحادية عشرة والنصف والواحدة والنصف ظهراً، كانت الضحية... شششش... تتدرب على خشبة المسرح في قاعة الطعام. وعندما... شششش... عادت إلى الغرفة... شششش... وجدت الخزنة

فارغة. لائحة المجوهرات المسروقة تشمل... ششش... ششش... ششش...».

أشارت أغاثا إلى ابن عمها لإيقاف الرسالة الصوتية، ونزعت سماعتَي الأذنين، وقالت له: «داش، لا أستطيع سماع نصف الكلمات! ألا توجد طريقة ليصبح الصوت أكثر نقاوة؟».

«لقد فعلت ذلك أصلاً. لكن الصوت مشوش من المصدر».

«لماذا؟ أين كان هذا العميل عندما أجرى الاتصال؟».

شبك داش ذراعيه، وهزّ رأسه قائلاً: «ماذا عسايَ أقول؟ إنها مسألة غامضة».

وللمرة الأولى، كان التحري الأكثر حماقة في إنكلترا محقاً. إنها فعلاً قضية غير اعتيادية!

وضعت أغاثا السماعتين على أذنيها مجدداً، وعدّلت مستوى الصوت، وضغطت على السماعتين جيداً لسماع كل كلمة.

كان الكلام متقطعاً، وتتخلله تشويشات كهربائية متواترة، لكنّ أغاثا دوّنت على دفترها كل ما استطاعت سماعه. وفي

نهاية التسجيل، كانت صفحتها مليئة بعلامات الاستفهام. وقالت وهي تمضغ طرف قلمها: «هذا يتطلب الكثير من العمل. حسناً، يا زميلَيَّ العزيزين، من أين نبدأ؟».

تبادل تشاندلر وداش نظرات مترددة.

فقالت أغاثا: «فلنبدأ بملاحظاتي. أولاً، من هي هيلغا هوفستيتر؟».

تمعّن داش في الملف المرسَل إليه ثم قال: «توجد هنا لمحة وجيزة عنها، لكنني أستطيع إجراء بحث...»

فقاطعه تشاندلر قائلاً: «إنها مغنية أوبرا. ولكي أكون أكثر دقة، إنها أجمل مغنية سوبرانو في العالم!».

عندها، استدار الولدان للنظر إليه، وأدركا أنه متورّد خجلاً.

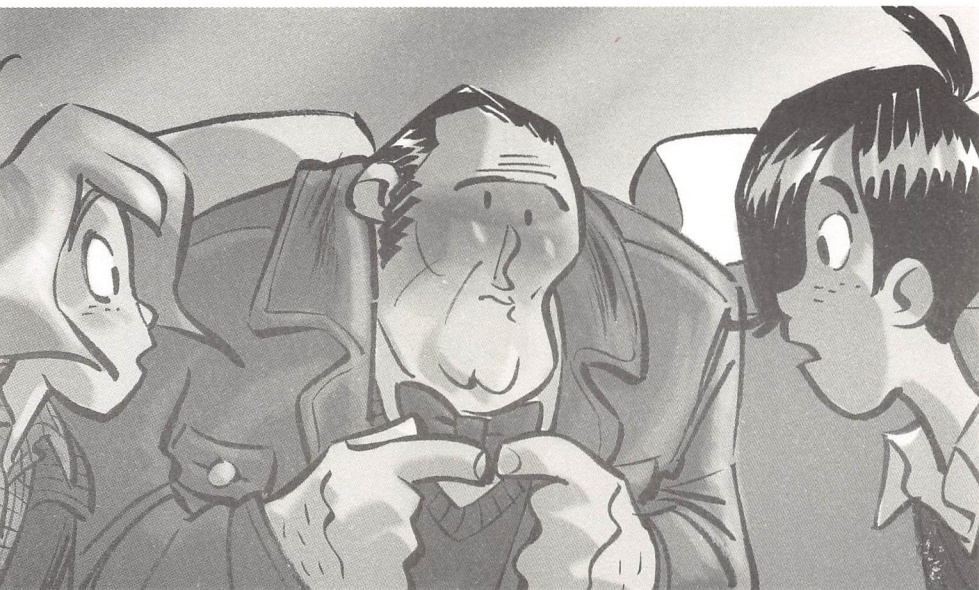

اعترف كبير الخدم فيما كان يرخى ربطة عنقه قليلاً: «أنا من أشدّ المعجبين بها، وأحتفظ بكل أسطواناتها في منزلي».

في غضون ذلك، قام داش بتحميل صورة السيدة هوفستيتر، وتأمّل جسمها الضخم، ثم قال بسخرية: «إذا لم تخضع لحمية غذائية فسوف تنفجر في هذا الفستان عند إنشادها أول نوتة عالية!».

فحدق إليه تشاندلر وأغاثا بغضب.

قال داش: «حسناً، لا سخرية بعد الآن. ما هو سؤالك التالي أغاثا؟».

سألته: «ما هي المجوهرات التي تمت سرقتها؟».

نقر داش على الملف المرفق، وشهق عند رؤيته اللائحة الطويلة التي ظهرت على شاشته.

إنها ثروة هائلة: ثلاث قلادات ماسية، وتاج مرصّع بالياقوت والزمرد، وعدة أساور من الذهب، وعدد لا يحصى من الأشياء الأخرى النفيسة.

عندها، صرخت أغاثا: «واو! كانت هيلغا هوفستيتر تملك ثروة في خزنة الفندق».

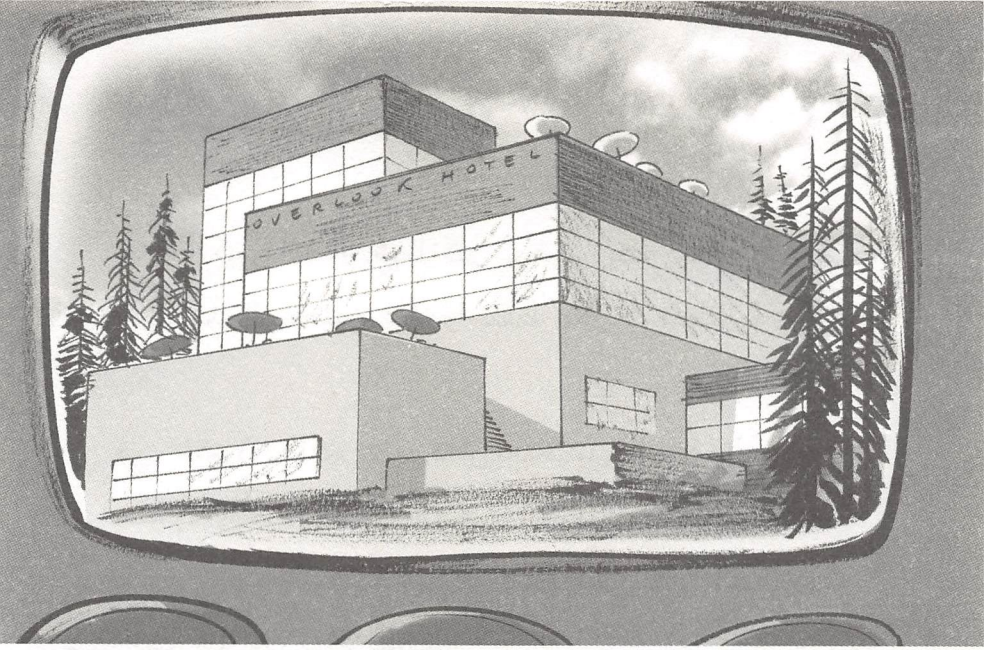

ثم استدارت للتأكد من أن أحداً لم يسمعها. ولحسن الحظ، كان كل الركاب الآخرين نائمين، وقد استرخوا بفعل الهدير الناعم الصادر عن المحركات. شعرت أغاثا بالارتياح، ثم نظرت إلى دفترها مجدداً. «النقطة الثانية لها علاقة بفندق أوفرلوك. فقد بدأ العميل يعطي وصفاً لموقع الفندق وتصميمه، ولكنّ التسجيل الصوتي ساء جداً. هل لديك أي معلومات على جهاز الآي نت؟».

قرأ داش: «تم افتتاح الفندق في العام الماضي. وهو يشتمل على مئة جناح في ثمانية طوابق، مع قاعة للحفلات ذات مستوى عالمي. وهناك أيضاً حديقة كبيرة في الهواء الطلق، تمتد على طول المبنى، مع مناظر رائعة للشلالات».

«هل لديك خريطة للطوابق؟ هل هناك صور؟».

«طبعاً يوجد!».

اقتربوا جميعاً من جهاز الآي نت الخاص بداش لتأمل خريطة الفندق. كانت قاعة الحفلات تقع في الطابق الأرضي، فيما الجناح الملكي لهيلغا هوفستيتر في الطابق الثاني. ويمكن الوصول إليه عن طريق سلالم دائرية ضخمة موجودة قاعدتها في ردهة الفندق. أما الطوابق العلوية الأخرى في الفندق فلا يمكن الوصول إليها إلا باستعمال المصاعد الزجاجية.

يتضح جلياً أن فندق أوفرلوك فخم جداً، وهو مصمم لجذب الزبائن الأثرياء. إلا أن أغاثا لم تتأثر كثيراً بالهندسة المعمارية فائقة العصرية وبالمفروشات الفخمة، بل ركّزت بدلاً من ذلك على الخصائص التي يمكن أن تكون مهمة للتحقيق. وتمتمت: «هناك مدخل واحد، وهو مزود بأجهزة إنذار. إذاً، لا بد أن السارق قد مرّ عبر المدخل الرئيس». ثم صمتت قليلاً، واستدارت نحو ابن عمها وتابعت: «هل لمحت أي كاميرات مراقبة؟ فربما قامت إحداها بتصوير السارق».

تحقق داش من كل إنش في الخريطة، ثم تمتم:

«هناك الكثير من كاميرات المراقبة، ولكنها كلها موضوعة خارج الفندق. أتساءل عن سبب عدم وضعهم كاميرات في الردهة والممرات».

فشرح له تشاندلر: «من أجل الخصوصية». فكبير الخدم عند آل ميستري عمل سابقاً في وظائف عدة، وإحداها وظيفة حارس ليلي في فنادق لندن الفخمة. وأضاف تشاندلر قائلاً: «هناك بعض القواعد الصارمة جداً هذه الأيام. إذ لا يمكن التطفل على خصوصية الزبائن».

فقالت أغاثا: «طبعاً».

وتمتم ابن عمها: «حسناً، لن يساعدنا ذلك أبداً».

«في الواقع، بلى».

«عفواً! كيف؟».

كشفت أغاثا عن ابتسامة تدلّ على الذكاء، ثم شرحت له: «حضرة العميل DM14، هل جمعت كل أجزاء هذه الأحجية معاً؟».

«أوه، ليس بعد، لا. أخبريني!».

أخذت نفساً عميقاً ثمّ شرحت له: «حصلت السرقة خلال الحفلة الغنائية لهيلغا هوفستيتر، أي بين الساعة

الثانية عشرة والنصف والواحدة والنصف. لذا، كل ما علينا تحديده هو الأشخاص الذين غادروا الفندق خلال هذه الفترة الزمنية».

«لكن... لكن... يحتمل أن يكون السارق قد رمى نفسه من الشرفة في نهر نياغارا بدافع الهرب».

فضحكت أغاثا: «هذا ليس فيلماً تشويقياً. وإذا خدمتني ذاكرتي جيداً، فإن ارتفاع الشلالات يبلغ مئتي قدم تقريباً. لذا، سيكون القيام بذلك تصرفاً أحمق».

أومأ تشاندلر برأسه، وبدا أن واتسون أيضاً يؤكد على نظرية أغاثا بإصداره مواء خفيفاً.

أرجعت أغاثا ظهرها إلى الخلف، وتحققت من ساعتها.

إنها الحادية عشرة والنصف ليلاً وفق توقيت لندن. قالت متثائبة: «إذا لم تعد هناك أي ملفات يجب التمعن فيها، فسآخذ سنة من النوم».

لكن داش لم يكن مستعداً للتوقف الآن، فقال: «لقد قرأنا كل الملفات، لكنني سأمضي فترة الليل في دراسة القضية».

وبعد خمس دقائق فقط، كان يشخر بصوت عالٍ.

الفصل الثالث

فضول شديد

وصلوا إلى مطار جون كينيدي في نيويورك وسط عاصفة هوجاء. وخارج نوافذ قاعات المطار، كان الرعد المدوي يلي لمعان البرق الساطع. كل شيء بدا رمادياً وشاحباً بما في ذلك وجوه المسافرين.

وبدا داش مثل الزومبي في قاعة المطار، وكان يشعر بالتعب لأنه لا ينام أبداً بشكل جيد في الطائرات. وظهرت هالتان داكنتان حول عينيه، فيما بدا شعره أشعث. والأهمّ من ذلك كله أنّ الرائحة الكريهة المنبعثة من ملابسه ازدادت سوءاً إلى حدّ لا يوصف.

قالت أغاثا: «لا تبتعدا عن ناظريّ أبداً، فهناك الكثير من الجلبة هنا!».

لم يكن داش واعياً تماماً، فسألها: «هل توجد حلبة هنا؟ أين؟».

فأمسكه تشاندلر من ذراعه، وقال لها: «لا تقلقي يا آنسة أغاثا. سأُبقي عينيَّ عليه!».

عندها، سألته بقلق: «ألا تعتقد أنه يجدر بنا شراء ملابس جيدة له قبل القيام برحلتنا التالية؟ فقد يتهمونه بنقل الجراثيم ويرفضون السماح له بركوب الطائرة».

«سيكون ذلك أفضل». وأخرج كبير الخدم رذاذاً مزيلاً للتعرق من الحقيبة التي يحملها على كتفه، ورش منها على داش من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه.

إلا أن داش لم يلاحظ ذلك إلى أن وصل الرذاذ إلى وجهه، فصرخ: «ماذا تفعل!؟».

فأجابت أغاثا محاولة تهدئته: «إنقاذ المهمة يا داش».

«أوه، صحيح. المهمة! هل نحن في شلالات نياغارا؟».

أجابت: «ليس بعد. علينا السفر إلى بافلو أولاً».

خلال الجزء الثاني من الرحلة، انكبّت أغاثا على قراءة دليل سفر كندي مليء بالصور الجميلة للمساحات الطبيعية الشاسعة في منطقة الشمال. فهي تأخذ معها الكتب دوماً حين تذهب لإجراء التحقيقات مع داش. إذ إنها تحبّ الاطلاع على كل المعلومات حول الأماكن التي يذهبان

إليها. وقد اكتشفت أن كندا هي ثاني أكبر دولة في العالم مغطاة بمساحات لامتناهية من الأشجار وملايين البحيرات. يعيش معظم السكان في الجنوب، قرب حدود الولايات المتحدة، حيث المناخ أكثر اعتدالاً والصناعات أكثر ازدهاراً. وحدها مجموعات الإينويت تعيش في المنطقة القطبية في أقصى الشمال.

تنهدت أغاثا وقالت: «مذهل! يا له من بلد رائع!». فيما ربّتت برفق على أنفها.

نظر تشاندلر إلى خارج النافذة، ثمّ تنهد قائلاً: «أتمنى أن يتوقف هطول المطر. فأنا لا أريد مقابلة هيلغا هوفستيتر بملابس متسخة».

فغمزته أغاثا وقالت له: «ستكون مفتونة بك جداً، ولن تنتبه إلى الطقس».

إلّا أنهم تفاجأوا جميعاً حين تحققت أمنية كبير الخدم. فعندما هبطوا على المدرج في مطار بافلو، فرّقت الرياح الغيوم عن بعضها، وأشرقت الشمس من خلفها.

سألت أغاثا داش فيما مشوا نحو المخرج: «هل أنت متشوّق لمقابلة سكارليت؟».

«سكارليت! من سكارليت؟». وعندما نظرت أغاثا إلى جفنيه الهابطين، اتضح لها جلياً أن الفتى يعاني من تعب السفر الناجم عن فرق التوقيت. لا بدّ أن الأمر أثّر في ذاكرته بشكل سلبي.

رافقتهما أغاثا إلى مرأب تحت الأرض، حيث تدبرت سكارليت لقاءهم هناك. لمحت عربة مقفلة من طراز فولسفاغن باللونين القشدي والبرتقالي، فاقتربت منها بحذر.

كان الباب الخلفي مفتوحاً، لكن ما من أحد في الداخل. حتى إن مقعد السائق كان خالياً.

نادت أغاثا: «سكارليت، سكارليت ميستري!».

فظهرت قبعة رعاة بقر من خلف العربة المقفلة، وقال صوت بنبرة فيها رنة: «هذه أنا!».

«أنا قريبتك أغاثا».

أغلقت سكارليت ميستري صندوق السيارة بصوت مكتوم، وفركت يديها بمنديل كبير، ثم تقدمت إلى الأمام لمعانقة قريبيْها، وابتسمت ابتسامة عريضة.

وقالت: «كنت أزيّت القفل في الباب. هذه السيارة

القديمة ممتازة، ولكنها بدأت تصدأ مع مرور الأيام!».

كانت في منتصف العقد الثاني من عمرها، وذات قامة طويلة ورياضية، مع شعر أشقر ناعم مؤطّر لوجه خالٍ من مستحضرات التجميل. بدت نسخة أكبر سناً عن أغاثا، مع الأنف المرتفع إلى الأعلى نفسه.

ارتدت سروال جينز ساقاه متسعتان من الأسفل وقميص رعاة بقر، وانتعلت جزمة رعاة بقر قديمة جداً.

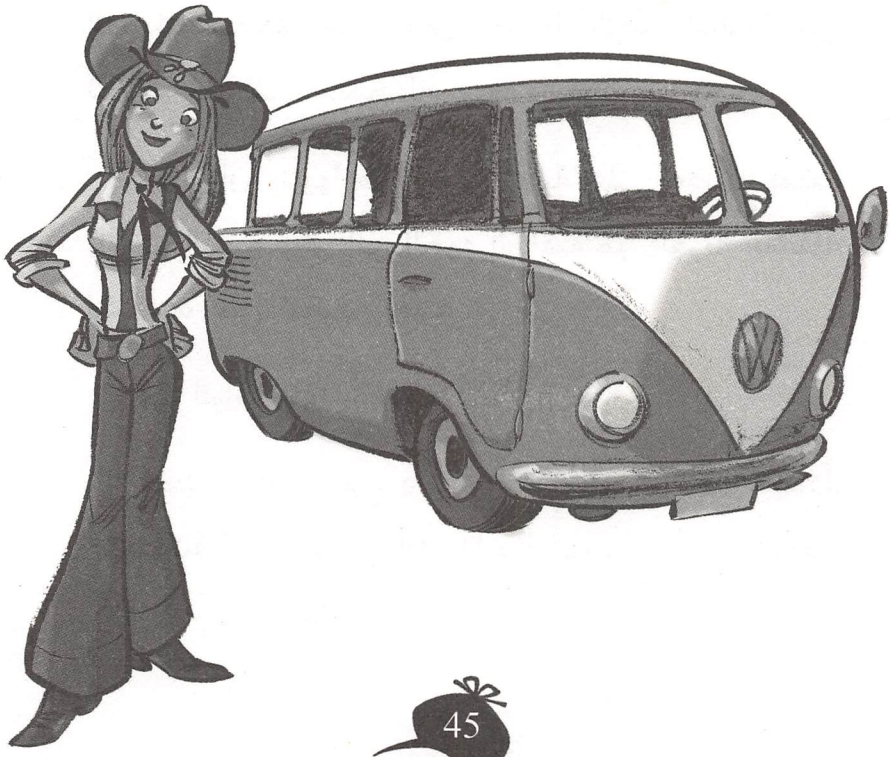

قبّلت سكارليت ابنة عمها على وجنتها، وكانت على وشك تقبيل داش حين تراجعت فجأة إلى الخلف، وقالت متعجبة: «يا إلهي! هل كنت تتصارع مع الأسماك أم تجرب أنواع مزيل الرائحة؟».

شعر داش بإحراج كبير، حيث لم يستطع إيجاد الكلمات المناسبة: «أوه... أوه... مستوعب النفايات... الطائرة... الرذاذ المزيل للرائحة».

قالت سكارليت: «تعال إلى هنا. لديّ بعض الملابس التي تناسب مقاسك، وبعض المناديل الرطبة القادرة على تنظيف بشرتك المتسخة!».

وقبل أن ينتهوا من إلقاء التحية على بعضهم بعضاً، رافقت الشابة داش إلى الجهة الخلفية من العربة المقفلة لتساعده على تنظيف نفسه.

في الواقع، لقد أنجزت عملاً رائعاً.

فبعد لحظات، خرج داش ورائحته رائحة إنسان مجدداً. والمشكلة الوحيدة هي أنه بدا مثل شخص مستعد لخوض منافسات رعاة البقر.

قالت أغاثا بسخرية: «أين قبعتك الكبيرة وسروالك الجلدي؟».

ومازحه تشاندلر قائلاً: «وأين بندقية وينشستر؟».

فأصدر داش صوت هسيس مثل قدر ماء تغلي.

مدت سكارليت يدها لمصافحة تشاندلر، وداعبت واتسون بسرعة تحت ذقنه قبل أن ترافقهم إلى العربة المقفلة.

كانت عربة تخييم مقفلة من طراز السبعينيات مليئة بكل أنواع معدات التخييم: خيم قابلة للطي، وفرُش قابلة للنفخ، وجزمات للمشي، ومصابيح وامضة، وحبال، وقارب كاياك قابل للنفخ مع مجاذيف، وصندوق مليء بالملابس الشتوية. كانت سكارليت مستعدة للقيام بالمغامرات في الأماكن البعيدة التي تكتب عنها.

وثمة نسخة من مجلة جولات حول العالم موضوعة على لوحة أجهزة القيادة في السيارة. كانت أغاثا تواقة لفتح المجلة وقراءة مقالات سكارليت، لكن ابنة عمها الكبرى بدأت تتكلم، وسألت وهي تشعر بشيء من خيبة الأمل: «هل تتوقعون زيارة شلالات نياغارا؟ أخشى أن يكون هذا نوعاً من الفخ السياحي».

«إنها فرصة... لا نستطيع تفويتها!». وصمتت أغاثا وهي تحاول التفكير في غطاء جيد لمهمتهم السرية، ثم تابعت: «تمّت دعوتنا إلى هناك من قبل صديقة تشاندلر العزيزة!».

بدا كبير الخدم منزعجاً جداً.

فسألت سكارليت وهي تغمزه: «أهي مسألة عاطفية؟».

تململ تشاندلر في مكانه من دون التفوه بكلمة.

إلا أن أغاثا سارعت إلى إنقاذه: «أوه، لا. السيدة هوفستيتر نجمة أوبرا، وتشاندلر رئيس نادي معجبيها!».

شغلّت سكارليت محرّك السيارة وقالت: «واو، إنها نجمة مشهورة! هذا رائع فعلاً!».

فقال داش وهو يعدّل ياقة قميصه: «هيّا، فلننطلق!».

كهربت كذبة أغاثا البيضاء الجو، وشعروا جميعاً أنهم جواسيس.

وفيما انطلقت العربة المقفلة شمالاً على الطريق السريع لولاية نيويورك، أصبحت المحادثة أكثر حيوية. فقد وصفت سكارليت أسفارها الكثيرة في الغراند كانيون وجبال الروكي وأنهر لويزيانا، وقالت لهم: «علقتُ ذات مرة في بلدة أشباح في غرب تكساس، فمشيت طوال نهارين

وليلتين وأنا أبحث عن محطة لملء السيارة بالوقود!».

فنظرت إليها أغاثا بإعجاب وقالت: «ألا تخافين حين تسافرين وحدك؟».

ضحكت سكارليت وأجابت: «لا أتخيل شخصاً شجاعاً بما فيه الكفاية لمرافقتي حين أكون في عملي!».

«عمّ تكتبين بالضبط؟».

أجابت: «عن كل شيء تقريباً. عن التجذيف في القوارب، والتحليق في المناطيد، ورحلات السافاري... في العدد الأخير مثلاً، كتبت مقالاً طويلاً عن المنطقة الحادية والخمسين».

قال داش متعجباً وهو يقلّب صفحات المجلة: «المنطقة الحادية والخمسون! هذا رائع!». لكنه عندما عثر على مقالة سكارليت، انهارت حماسته كما لو أنها قصر مصنوع من الورق المقوّى، وقال خائب الأمل: «لكن... لكن... العنوان يقول إن أبحاث اليوفو خدعة. هل تعتقدين ذلك فعلاً؟».

فضحكت سكارليت وأجابته: «لا شك في ذلك. أعدّ أحياناً تقارير خاصة تفضح الأساطير الشائعة. هل تعتقد فعلاً أنّ هناك تماسيح في مجارير نيويورك؟ وأن مركبة فضائية تحطمت فعلاً في روزويل، نيومكسيكو، وأن قبيلة

المايا ابتكرت خطوط «ناكزا» للتواصل مع أشكال غريبة عن هذه الحياة؟».

«لا أعتقد ذلك فقط، بل أنا واثق تماماً».

«يا ابن عمي العزيز، ترتكز هذه الأمور دوماً على الحقائق والشروحات العلمية!».

انفجرت أغاثا بالضحك عند سماعها هذه الكلمات. فهي وسكارليت لا تتشابهان فقط في المظهر الخارجي، وإنما تفكران أيضاً بالطريقة نفسها!

عندها، شبك داش ذراعيه، وصرخ بعناد: «ماذا عن دوائر المحاصيل؟ هل هي خرافة أيضاً؟».

غير أنه لم يحصل على أي جواب؛
إذ ثمة شيء آخر لفت انتباه
الآخرين، صوت مدوٍّ تعاظم
إلى أن أصبح هائلاً.

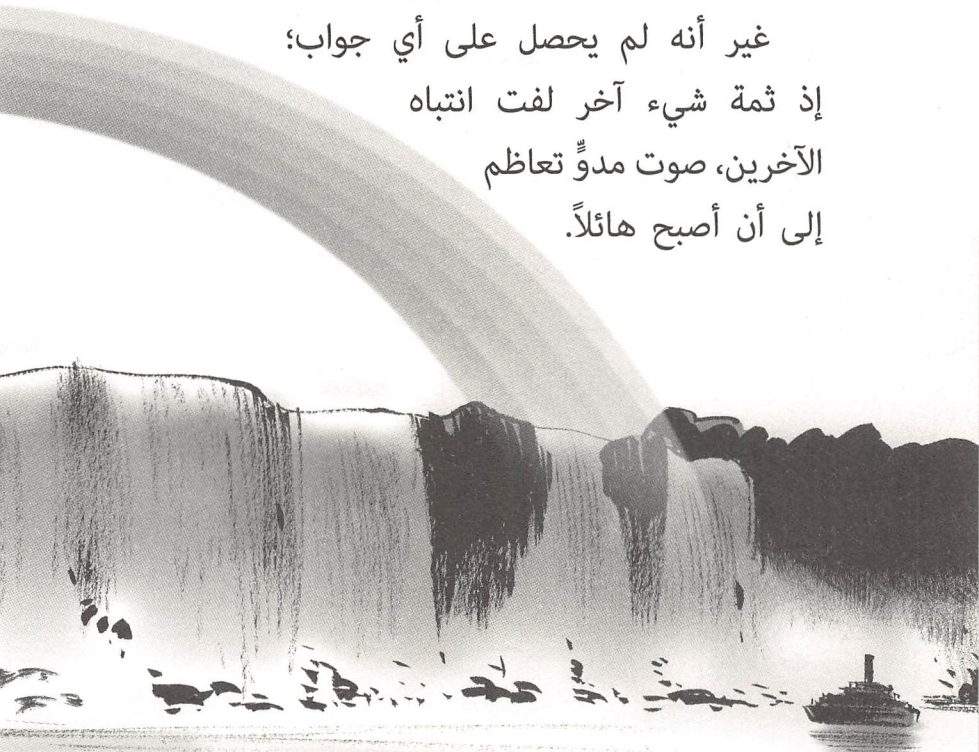

بدت أغاثا خائفة، وسألت: «ماذا يحصل؟».

فأجاب تشاندلر: «ربّما تعطّل المحرك».

عندها، أنزلت أغاثا زجاج نافذتها، وهزّت رأسها ثم قالت: «لا، الصوت آتٍ من الخارج. يبدو مثل هزّة أرضية».

حدّق اللندنيون الثلاثة إلى سكارليت التي تابعت القيادة بهدوء بمحاذاة النهر، وقالت مبتسمة وهي تشير إلى اليسار: «يا أعزائي، لقد وصلنا تقريباً».

كانت ثمة جزيرة فصلت الماء إلى قسمين، وتضاءل فجأة التيار المائي المتحرك بسرعة.

شلالات نياغارا!

كان الصوت المدوي عبارة عن هدير المياه المتدفقة من ارتفاع هائل، والتي أدّت إلى تكوّن سحابة هائلة من الرذاذ.

شرحت سكارليت: «إنها الشلالات الأميركية. يبلغ ارتفاعها مئة قدم تقريباً، ويطلق على ذلك الشلال الصغير اسم «شلالات وشاح العروس». لكن الشلالات الكندية المعروفة أيضاً باسم «شلالات حدوة الحصان» أعرض بمرتين، وأعلى بثلاث مرات!».

جلسوا جميعاً مذهولين بالمنظر الطبيعي، ومفتونين بالجمال الساحر.

وصرخ داش: «انظروا إلى قوس القزح!».

فقالت أغاثا مبدية إعجابها به أيضاً: «رائع!».

أمّا واتسون فقفز إلى حضن تشاندلر، وخربش على النافذة؛ كما لو أنه يحاول التقاط أشرطة الألوان المتلألئة والرذاذ الملتف كالدوامة.

عبروا جسر قوس قزح، وهو جسر كبير يصل بين جانبَي نهر نياغارا.

وفي الطرف البعيد، كان ثمة حاجز حجري يرفرف

فوقه العلم الكندي. أظهروا جوازات سفرهم البريطانية، وعبروا الجمارك من دون أية مشكلة. شاهد الولدان قارباً محملاً بالسياح يتوجّه نحو الرذاذ الضبابي تحت شلالات حدوة الحصان، فبدا أولئك السياح مثل حشرات صغيرة وسط إعصار.

قالت سكارلت: «أيها الولدان، إلى أين سنذهب؟».

أبعدت أغاثا نفسها عن النافذة بصعوبة لتتمكن من إعطاء سكارليت عنوان فندق أوفرلوك، ثم عادت لتتأمل مجدداً جمال الشلالات الرائعة.

الفصل الرابع

جناح هيلغا هوفستيتر

كرّر داش أمام الحارس: «أنا العميل DM14 من وكالة آي الدولية للتحقيق. وأنا الآن أجري تحقيقاً، وأستطيع أن أحضر معي المساعدين الذين أريدهم!».

غير أنّ الرجل قوي البنية الذي بدا مثل ثور ثبّت نفسه عند باب فندق أوفرلوك، وظهر تعبير غريب على وجهه. ورغم أن داش أراه جهاز الآي نت الذي يوجد فيه تعريف عنه، إلّا أن الرجل لم يتزحزح قيد أنملة، وأصرّ قائلاً: «يمنع دخول الصحافيين إلى المكان. إنها أوامر المدير. لذا، ستبقى تلك الصحافية في الخارج!».

ماذا يجري؟

لماذا لا يستطيعون الدخول إلى ردهة الفندق؟

بدأت الحكاية بحركة بسيطة.

فحين دخلوا عبر الأبواب الأمامية المهيبة للفندق، سحبت سكارليت بطاقتها الصحافية من جيبها، وعرضتها على الحارس. فهي تفعل ذلك دوماً، ولم تكن مدركة للتوجيهات الأمنية التي أصدرها مدير الفندق.

كانت الساعة 12.30 تقريباً. وقد مرّ يوم كامل تقريباً على حصول السرقة في الجناح الملكي لهيلغا هوفستيتر، فتحرّقت أغاثا شوقاً للدخول ومعرفة ما حصل خلال تلك الساعة تحديداً.

فجأة، أمسكت سكارليت بيدها، ونحّتها جانباً وهمست غير مصدقة: «هل ما سمعته صحيح؟ هل داش... تحرٍّ؟!».

عندها، همست أغاثا: «إنه تحرٍّ سريّ. يبدو لي الأمر غريباً أيضاً أحياناً».

«إذاً، ما علاقة المغنية؟ وماذا عن نادي المعجبين الذي يترأسه تشاندلر؟».

فتشت أغاثا عن الكلمات الصحيحة، ثم قالت معتذرة: «أعتذر منك، ولكن توجّب عليّ اختراع هذه القصة لأننا في مهمة سرية. لكن، هناك مغنية اسمها هيلغا هوفستيتر ـ السوبرانو الشهيرة ـ وقد اتصلت بأكاديمية التحري التي

يدرس فيها داش للإبلاغ عما حصل...». ثم صمتت قليلاً لإلقاء نظرة على الباب. كان داش يضرب قدميه بالأرض أمام الحارس الضخم، فيما تشاندلر يحاول تهدئته.

«في هذه المرحلة، أعتقد أنه لا جدوى أبداً من الاستمرار في إخفاء الحقيقة».

فهمست سكارليت: «كلي آذان صاغية». فيما شعرت بالمزيد من الفضول.

اتكأت أغاثا على درابزين الشرفة الممتدة حول الجهة الخارجية للفندق، وأعطتها تقريراً مفصلاً عن المجوهرات المسروقة.

فقالت سكارليت بسرور: «أنتما مذهلان أيها الولدان. أنتما فعلاً من آل ميستري. كان يجدر بي أن أدرك أنكما لم تأتيا لمشاهدة المناظر الطبيعية. هل أستطيع المساعدة في التحقيق؟».

«طبعاً. لكن، كيف؟».

فاقترحت سكارليت: «أستطيع جمع المعلومات من الجوار. فأنا صحافية استقصائية في النهاية. وإذا عثرت على شهود، فأنا أعرف كيف أجعلهم يتكلمون!».

عندها، وجّهت إليها أغاثا ابتسامة مشرقة وقالت: «فكرة رائعة! إذاً، فلنبدأ».

اتفقتا على الأسئلة التي يجدر بسكارليت طرحها، ثم حدّدتا موعداً للقائهما مجدداً. بعد ذلك، ذهبت سكارليت للبدء بعملها مباشرة، فيما توجّهت أغاثا نحو داش لإبلاغه بما اتفقتا عليه.

لكن، ما إن وصلت إلى الباب حتى خرج ساعي بريد شاب من شركة فيدكس مسرعاً من الفندق، وهو يحمل جبلاً من الرزم والمغلفات التي وازنها كما لو أنه رياضيّ يسير على حبل مشدود. ارتطم بأغاثا مصدراً صوتاً قوياً، وأوقعها أرضاً.

اعتذر الشاب منها قائلاً: «اعذريني يا آنستي، ولكنني لم أرَك!». ثم بدأ بجمع رزمه المبعثرة، فساعدته أغاثا في جمع المغلفات قبل أن يطير أي منها إلى المياه الموجودة عند حافة حديقة الفندق. انضم إليها داش وتشاندلر لمساعدتها، فأخبرتهما بسرعة عن الاتفاق الذي أجرته مع سكارليت.

بعد لحظات، أطلق رجل الأمن الضخم صوت هدير، وسمح للندنيين الثلاثة بدخول ردهة الفندق.

توجهوا مباشرة إلى مكتب الاستقبال، وسألوا عن السيدة هيلغا هوفستيتر.

عندها، سألهم رجل يرتدي ملابس غريبة دخل ردهة الفندق للت: «مع من لي الشرف بأن أتكلم؟». كان يرتدي بذلة رمادية بصفين من الأزرار الحمراء، ويضع ربطة عنق صفراء، ولديه شارب ولحية صغيرة مشذّبة.

ثم تابع قائلاً وقد انحنى قليلاً: «اسمي ريكس كورنويل. وأنا صاحب فندق أوفرلوك ومديره».

فعرّف داش عن نفسه بنظرة تحدٍّ وقال: «أنا العميل DM14 من أكاديمية آي الدولية للتحقيق. هل من مشكلة معي ومع مساعدَيَّ الموثوقين؟».

حدّق السيد كورنويل إلى أنف الهرّ واتسون الناتئ من بين ذراعَي تشاندلر، ثم أجاب بلباقة وتحفّظ:

«لا أيّها التّحري. أهلاً بكم هنا. السيدة هوفستيتر تنتظركم بلهفة».

فأجاب داش: «ممتاز. رافقنا إلى جناحها من فضلك».

لم يسبق لأغاثا من قبل أن رأت ابن عمها يتصرف بهذه العزيمة. فقد كان مثل شريف في فيلم ويسترن قديم. ويُعزى الأمر ربّما إلى الملابس التي يرتديها.

دخلوا المصعد الكبير، حيث قام تشاندلر بتسريح شعره أمام المرآة مراراً وتكراراً. رافقهم السيد كورنويل إلى باب جناح المغنية، وطرق عليه بلطف ثلاث مرات متتالية.

سُمِعَ صوت ناعم من الداخل يسأل: «من الطارق؟».

فقال المدير: «سيدتي، لقد وصل المحققون الذين طلبتهم».

«أخيراً! سأفتح خلال ثانية».

وسمعوا أصوات خطوات ثقيلة تقترب من الباب الضخم، ثم فُتِح الباب مصدراً صوت صرير جعل السيد كورنويل يقطّب وجهه عبوساً.

قالت هيلغا هوفستيتر التي كانت ترتدي رداء واسعاً من الحرير: «تفضلوا يا أعزائي. لا بدّ أنني أبدو مريعة!».

فتقدم تشاندلر خطوة إلى الأمام، وقبّل يدها، وقال بلباقة: «تبدين رائعة كما هي الحال دوماً سيدتي».

أجابت بسرور: «يا لك من رجل شهم! أعطوني فقط بضع لحظات». ثمّ دخلت غرفة نومها بخطوات مكتومة.

بالكاد استطاع داش كبح ابتسامته، فمغنية السوبرانو الشهيرة تشبه رجل الأمن الضخم في حجمه.

جلسوا على الأريكة، وتأمّلوا المكان الفخم. ثمة وسائد مطبعة بالأزهار، وستائر من القماش الدمشقي الذهبي، مع مفروشات جميلة وباهظة الثمن. شرح السيد كورنويل بفخر أن الجناح الملكي هو الأهم في الفندق، ويجذب أكثر الزبائن غنى وتميزاً.

وفيما أصغى داش وتشاندلر بتهذيب إلى ما يقوله صاحب الفندق، بدأت أغاثا تتجول في الغرفة باحثةً عن أدلة. لم تكن تعرف قطّ ما قد تجده، ولكنْ لا بد أن السارق قد ترك أثراً لدى حضوره. توقّفت أمام الخزنة التي بدت مثل مكعب فولاذي ضخم، ولاحظت أنها تفتقد إلى

القرص الميكانيكي الاعتيادي، وأن ثمة قفلاً إلكترونياً مكانه.

فقالت للسيد كورنويل: «هلّا تخبرني القليل عن هذا النوع من الخزنات».

مجدداً، بدأ صاحب الفندق يتبجّح بالمزايا المتطورة في فندقه. فالخزنات مقاومة للحريق، ولا يمكن فتحها إلا بإدخال بطاقة مغناطيسية موثوقة. والرمز الموجود على البطاقة يتم تغييره كل صباح في مكتب الاستقبال للحؤول دون نسخه.

عندها، قالت أغاثا مستنكرة: «أتسمي هذا إجراء أمنياً؟! كل ما يحتاج إليه السارق هو بطاقة بلاستيكية لفتح الخزنة من دون بذل أي جهد على الإطلاق!».

عندها، قفز المدير في مكانه وصرخ: «إلامَ تلمّحين؟ إنه النظام الأكثر تطوراً في السوق. يُعاد ترميز البطاقات يومياً من قبَل موظفيْنِ، وتتم مراقبتهما عن كثب. وفي حال سُرقت البطاقة أو ضاعت، فإن المسؤولية تقع على عاتق الزبون وحده!».

رفضت أغاثا أن ترهبها نبرته، وسألته مجدداً: «يُستخدم نظام إلكتروني لفتح الغرف أيضاً، أليس كذلك؟».

«طبعاً!».

عندها، قالت أغاثا مبتسمة ابتسامة ماكرة: «إذاً، لقد استخدم السارق البطاقة المغناطيسية التي تفتح الباب، وتلك التي تفتح الخزنة. وأثناء أداء السيدة هوفستيتر على المسرح، استطاع أخذ المجوهرات بفضل استخدامه البطاقتين».

ارتجف السيد كورنويل غاضباً وقال لنفسه: «أعرف أنه كان يجدر بنا الاتصال بالشرطة. هؤلاء الحمقى يسخرون مني!».

في تلك اللحظة، عاودت هيلغا هوفستيتر الظهور بفستان أنيق من الحرير الأزرق، وقالت: «أرجو منك أن تفرِّقَ بين الأمرين. أصابت الآنسة أغاثا في ما قالته، وقد أبليتُ حسناً بالاتصال بأكاديمية آي الدولية. فقد اتصلت بها ليس لأنها أكاديمية تحرٍّ ممتازة فقط، وإنما لأنّني أكره أيضاً أي نوع من التطفل على حياتي الخاصة».

فسألتها أغاثا: «أين كانت بطاقتاك المغنطيسيتان؟».

فأجابت السوبرانو: «في درج في غرفة الملابس. اعتقدت أنها بأمان هناك».

سألتها أغاثا: «وهل لاحظت اختفاءهما من الدرج بعد إنهائك حفلتك؟».

فأجابت السيدة هوفستيتر: «نعم. فحين عدتُ إلى الجناح، كانت البطاقتان فوق الخزنة الفارغة».

تنهدت، ثم عبرت الغرفة ببطء، وجلست على الأريكة بطريقة استعراضية، وأغمضت عينيها كما لو أنها على وشك الإغماء.

عندها، سارع تشاندلر إلى سكب كوب من الماء البارد وقدمه لها قائلاً: «هل تشعرين بالانزعاج سيدتي؟».

فأجابت السيدة هوفستيتر بصوت مرتعش: «إنه إغماء خفيف. لا يمكنك أن تتخيل كم كنت مولعة بتلك المجوهرات».

حاول كبير الخدم مواساتها بكلمات لطيفة.

وفيما انتظروا جميعاً تحسن حال المغنية، خرج داش وأغاثا إلى الشرفة للتشاور. طغى هدير الشلالات على كل الأصوات الأخرى.

قالت أغاثا: «يكمن السر في معرفة من تسلل إلى غرفة ملابسها. أرِني خرائط الفندق على جهاز الآي نت».

نقر داش على خريطة، وتحرك فيها للوصول إلى غرفة صغيرة في الطابق السفلي وقال شارحاً: «غرفة الملابس موجودة تحت المسرح، في نهاية الرواق».

«هل هذه نوافذ؟».

فأجاب: «تبدو أكثر كما لو أنها فتحات تهوئة؛ فغرفة الملابس موجودة تحت مستوى الأرض. ممّا يعني أن الطريق مسدود».

حدقت أغاثا إلى الشلالات وربتت على أنفها، فمازحها داش قائلاً: «هل تخطر في بالك الآن إحدى أفكارك الرائعة؟ أعتقد أنه يجدر بنا إلقاء نظرة على غرفة الملابس...»

«لن يكون ذلك ضرورياً».

عادت أغاثا إلى جناح المغنية، وجلست بالقرب من باقة كبيرة من الورود الحمراء التي تركها أحد المعجبين. ثم قالت مبتسمة: «حسناً إذاً. أخبريني بما حصل بالضبط».

وأمـامَ هذا الكم من الثقة، توجّب على السيدة هوفستيتر والسيد كورنويل الموافقة.

الفصل الخامس

الفأرة التي أحبت الأوبرا

أصيب الجميع بالذهول بسبب استنتاجات أغاثا المبهرة. فقد قالت بثقة: «لا بد أن السارق أحد معجبيك يا سيدة هوفستيتر. وإذا خدمتني ذاكرتي جيداً، فإن عشاق الأوبرا يقدمون باقات الأزهار والهدايا الأخرى إلى الفنانين في الكواليس. هل أنا محقة؟».

نظرت المغنية المذهولة إلى تشاندلر، وقالت متلعثمة: «هل تعتقدين أن السارق واحد من المعجبين بي؟».

فأجابت أغاثا: «أعتقد ذلك. لذا، أريدك أن تتذكري ما حصل بالضبط في الدقائق الثلاثين الأخيرة قبل الحفل وبعده».

ضرب السيد كورنويل بقبضته على الطاولة وقال متعجباً: «هذا يكفي! لا أستطيع السماح لكم بأن تعاملوا

نزيلتي بهذه الطريقة! ألا ترون أنها مصدومة؟».

فسأله داش: «هل تريدنا أن نعثر على السارق أم لا؟».

مسّد المدير شاربه وأجاب: «بالطبع أريد ذلك، لكنّ هذه الفتاة تخلط الأمور! كيف يمكنها أن تعرف أن السارق واحد من معجبي السيدة هوفستيتر؟ من أين أتت بهذه الأفكار الغريبة؟».

شبكت أغاثا ذراعيها وانحنت إلى الأمام مجيبة عن تساؤله: «أنا واثقة من ذلك لأنك مدير كثير التدقيق، ولديك فريق أمن فعال».

فقال بغضب: «لا تخدعيني بالإطراء. قولي ما تريدينه».

نظرت أغاثا إلى واتسون الذي كان يتبختر بين الأرائك، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: «اسمع جيداً. بدأت الحفلة عند الساعة الثانية عشرة والنصف وانتهت بعد ساعة. وفي ذلك الحين، كان جميع الموظفين في دوام العمل. أما الجمهور ـ الذي تخطى عدده مئة شخص ـ فكان يحضر حفلة السيدة هوفستيتر...»

فقاطعها كورنويل: «إذاً، إلامَ تلمّحين؟».

«الأمر بسيط. هل أنا مخطئة أم كان يوجد حارسان

خارج غرفة ملابسها؟».

عندها، رفع كورنويل ذراعيه مستسلماً وصرخ: «لا أعرف كيف، ولكنها حزرت. ففعلاً، كان هناك اثنان من أفضل الموظفين عندي يحرسان غرفة الملابس».

استدارت أغاثا نحو المغنية التي كانت تتابع المناقشة باهتمام كبير وقالت لها: «لم يدخل أحد غرفة ملابسك أثناء الحفلة يا سيدتي. وبالتالي، المنطق يقول إنه تمّت سرقة بطاقتيك المغنطيسيتين في وقت سابق، ومن قِبَل شخص زعم أنه أحد المعجبين بك...»

لمعت عينا هيلغا هوفستيتر في الليل مثل مصباحين ضوئيين، وصفّقت بيديها، ونهضت وجالت في الغرفة كما لو أنها تمثل المشهد مرة أخرى. كانت تائهة جداً في أفكارها، حيث كادت تدوس على ذيل واتسون. «أذكر أنني ما إن انتهيت من وضع مستحضرات التجميل حتى جاء إلى الكواليس أربعة أو خمسة من المعجبين. وقد أحضروا لي باقة كبيرة من الورود، وعلبة من الشوكولا، وقنينة من الشراب».

فسألها تشاندلر: «هل يمكنك التعرف إليهم إن رأيتهم؟».

هزّت رأسها محرجة، وأجابت عن سؤاله: «لأكون صريحة، ابتسمت لهم ووقعت على أوراقهم، ولكنني بالكاد نظرت إلى وجوههم!».

فقال داش خائب الأمل: «إذاً، لن نتوصل إلى أية نتيجة».

فجأة، صرخت السيدة هوفستيتر فيما لمست وجنتها: «انتظروا، كان هناك رجل أصرّ كثيراً كي أغنّي له مقطعاً من أغنية الغجرية وألحّ على ذلك رافضاً المغادرة!».

فأضاف السيد كورنويل: «وأنا أيضاً أذكره. فقد كانت الحفلة على وشك البدء، وتوجّب عليّ إخراجه من غرفة الملابس بالقوة!».

ألحّت أغاثا: «هل يمكنك وصفه؟ هل امتلك قسمات مميزة؟ ماذا عن الشعر، أو اللحية، أو الملابس، أو البنية؟».

«كان رجلاً قصيراً ومتحمساً جداً، ومتوتراً جداً أيضاً لدرجة أنه أوقع معطفه...»

عندها، فرقع داش بأصابعه وقال متعجباً: «أنا واثق من أنه السارق! فقد صرف انتباهك لوقت طويل بما فيه الكفاية لإخراج البطاقتين المغنطيسيتين من درجك!».

سيطرت الحماسة على الجناح في الفندق. فقد أفضى حدس أغاثا إلى خيط جيد، وراح الجميع يطرحون الأفكار. استطاعت هيلغا هوفستيتر تذكر بعض التفاصيل الإضافية بشأن المعجب المتوتر، فيما استرخى المدير قليلاً، وفكّ أزرار سترته المشتملة على صفين من الأزرار.

وبما أن السيدة هوفستيتر لم تتناول أي شيء منذ اكتشاف السرقة، عرض السيد كورنويل طلب بعض المأكولات من خدمة الغرف، ثم سألهم فيما غطى جهاز الاتصال الداخلي بيده: «هل تفضلون شرائح لحم البقر مع صلصة التارتار أو الطون المشوي؟». لكن، قبل أن يجيبوا أصبح وجهه أرجواني اللون، وصرخ بصوت عالٍ: «ماذا؟! فأرة... في فندقي!».

استدار الجميع للحاق بنظراته، وشاهدوا واتسون جالساً على أعلى الخزنة واضعاً شيئاً كثير الفرو بين أسنانه.

ركضت أغاثا نحوه، ثم قالت ضاحكة: «إنذار خاطئ». وبعد ذلك، أزالت قطعة من الفرو الرمادي من فم الهرّ قائلة: «لا بد أنها وقعت من أحد معاطف السيدة هوفستيتر».

فأجابت المغنية: «لا أملك أي معاطف فرو. في الواقع،

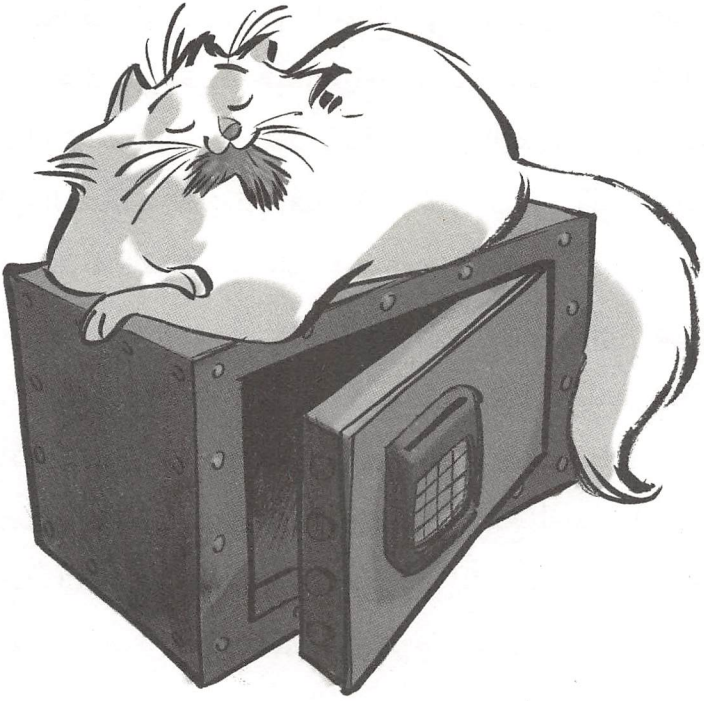

شاركت في العديد من الحملات المناهضة لقتل الحيوانات من أجل الحصول على فروها!».

قلّبت أغاثا قطعة الفرو بين أصابعها.

من أين جاءت؟ لقد تجوّل واتسون في كل الغرفة، ولكنه اكتشف فريسته قرب الخزنة.

عادت إلى الطاولة، وعرضت على الجميع قطعة الفرو الرمادية ـ البنية، وقالت شاردة: «إنني أذكر أن الثدييات

الكندية الأصلية هي حيوانات الموظ، والدببة، والقندس. هل يمكن أن يكون هذا فرو قندس؟».

تأمل تشاندلر قطعة الفرو بتمعّن. فقد عمل ذات مرة في متحف التاريخ الطبيعي، لذا صار يعرف الكثير عن فرو الحيوانات.

ثمّ قال: «هذا مستحيل آنسة أغاثا. فهذا الفرو ناعم جداً، كما أن فرو القندس أكثر كثافة».

«إذاً، من أي نوع من الحيوانات أُخذ هذا الفرو؟».

نظر السيد كورنويل إلى قطعة الفرو بازدراء ثم قال: «نظراً إلى النوعية السيئة، يبدو مثل فرو فأر المسك».

عندها، نظر إليه الآخرون بتعجب، فكرّر قائلاً: «فأر المسك نوع من القوارض الكبيرة. وهو يعيش في البحيرات والأنهار، ويتم اصطياده لفروه».

فقالت أغاثا: «هذا مذهل! لكن، ما سبب وجوده هنا في الجناح الملكي للسيدة هوفستيتر إذا كان عديم القيمة؟».

فقال كبير الخدم: «ربما تركه نزيل سابق».

عندها، قالت أغاثا: «أعتقد أن هذا الاحتمال غير ممكن. فعمال التنظيفات ينظفون كل إنش من هذه السجادة. ولو

وجدوا قطعة من معطف فرو أو أي شيء آخر تركه أحد النزلاء لأخذوه حتماً إلى مكتب الاستقبال».

فأكّد السيد كورنويل على كلامها بالقول: «بالضبط».

نقر داش بأصابعه على الطاولة، وسأل بتململ: «إلى كم من الوقت ستستمرين في جعلنا نحتار؟».

ابتسمت له أغاثا، ثم استدارت نحو السيدة هوفستيتر قائلة لها: «قلتِ لنا سابقاً إنك عندما عدتِ إلى جناحك وجدتِ البطاقتين المغنطيسيتين أعلى الخزنة، كما لو أن السارق كان يحاول إعادتهما لك، أو يُظهر لك كم كان ذكياً. قد أكون مخطئة، ولكن حدسي يقول لي إنه ترك أيضاً هذه القطعة من الفرو التي وجدها واتسون!».

فسألها تشاندلر: «ولماذا سيفعل ذلك؟».

أجابت أغاثا: «ربما كان هذا توقيعه. فقد قرأت في دليل علم الجريمة أن بعض المجرمين يتركون خلفهم دليلاً شخصياً لتعزيز شهرتهم».

أفضى ذلك إلى مناقشة حامية جداً لم تتوقف إلا عندما طلب داش منهم التزام الصمت ريثما يقوم ببعض الأبحاث على جهاز «الآي نت».

صرخ فرحاً: «أنت مذهلة يا ابنة عمي! راتموسكيه هو الاسم المستعار لسارق كندي شهير تقاعد من النشاط الإجرامي قبل عقد من الزمن. رات موسكيه *Rat musqué* هو المصطلح الفرنسي لفأر المسك. كان متخصصاً في سرقة المجوهرات، وهو يترك خلفه دوماً قطعة من الفرو ليهزأ من الشرطة!». ثم تابع قراءة المعلومات المعروضة على الشاشة، فيما أصغى الآخرون إلى ما يقوله بانتباه.

عرفوا الكثير من الأشياء غير الاعتيادية عن راتموسكيه الشهير. فاسمه الحقيقي هو ريك موريارتي، وقد استسلم للشرطة طوعاً لأنه لم يعد يستمتع بحياته الجرمية. غير أنه نال حريته مقابل إعادته الأغراض المسروقة. فهو لم يبع أو ينفق أي شيء قطّ، وإنما احتفظ بكل المجوهرات في كوخه الخشبي.

بعد ذلك، صرخ داش فجأة: «امنحوني لحظة. فقد تمّ تصنيف ما تبقى من معلومات على أنها في غاية السرية. لماذا يفعلون ذلك؟».

فقال المدير وهو يفرك يديه فرحاً: «وما الفرق؟ فنحن نعرف الآن من سرق مجوهرات السيدة».

واستنتج تشاندلر: «إنه فأرة تحب الأوبرا!».

ضحكت السيدة هوفستيتر على نكتة كبير الخدم وعانقته، مما جعل تشاندلر يتورد خجلاً مثل الطفل.

قالت أغاثا: «لكن، هناك مشكلة واحدة فقط. ففي الوقت الحاضر، لا نملك سوى النظرية؛ لأن كاميرات المراقبة لم تسجل مغادرة أي شخص للفندق أثناء الحفلة. كيف نجح سارقنا في إخراج المجوهرات؟ وهل لديه شريك؟».

فقال داش: «توجد بلا شك لائحة بأسماء الجمهور، أليس كذلك سيد كورنويل؟».

عندها، حرك المدير ربطة عنقه بعصبية وقال بأسف: «لسوء الحظ، لم يُطلب منهم سوى دفع ثمن بطاقاتهم. لا توجد لائحة بأسماء الحاضرين».

قال داش غاضباً: «إذاً، لن نعرف الحقيقة أبداً. لقد أضعناه إلى الأبد!».

همست أغاثا: «إلا إذا...»

فردّد الجميع بأمل: «إلا إذا... ماذا؟».

أشرق وجه الفتاة، وصرخت: «طبعاً! لماذا لم أفكر في الأمر من قبل؟». ثم أمسكت بكمّ داش وأمرته: «اتصل بسكارليت الآن، وهي سوف تخبرنا عن المكان الذي سنجد فيه راتموسكيه والمجوهرات المسروقة!».

الفصل السادس

ذيل راتموسكيه

قال صوت سكارليت عبر الهاتف: «عذراً أغاثا، لكنني لم أتوصل إلى أي شيء».

فأجابت أغاثا مبتسمة: «هناك تبديل في الخطط. هل يمكنك العثور على مكتب بريد فيدكس إلى جوارك؟».

«نعم، يوجد واحد في آخر الشارع. ماذا تريدين منه؟».

«تودّدي من الموظفين، وحاولي أن تعرفي إذا تم إرسال رزمة صباح أمس إلى ريك موريارتي».

«حسناً، سأفعل. هل من شيء آخر؟».

«نعم. من فضلك، احصلي على عنوان التسليم».

«حسناً يا ابنة عمي، سأفعل».

أعادت أغاثا جهاز الآي نت إلى داش، وأدركت حينها

أن الجميع ينظرون إليها بذهول.

فسألت مبتسمة ابتسامة خجولة: «هل ترغبون في الحصول على بعض الشرح؟».

عندها، أومأ الجميع برؤوسهم صامتين، وحثّوها على التكلم.

بدأت كلامها بالقول: «لقد جمعت عدة أجزاء من الأحجية، وأدركتُ أن هناك طريقة وحيدة لإخراج المجوهرات من فندق أوفرلوك خلال الحفلة؛ ألا وهي توضيبها في مغلف، وتركها عند مكتب الاستقبال، والاستفادة من خدمة البريد السريع».

سألها داش: «أتقصدين ساعي البريد الذي ارتطم بك؟».

فأومأت أغاثا برأسها مؤكدة: «هو نفسه».

أكد المدير بصوت رزين: «في الواقع، ثمة ساعي بريد من شركة فيدكس يأتي كل يوم في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف؛ حتى لو كانت هناك حفلة غنائية في وقت مبكر».

عارضه داش قائلاً: «لكنك قلت إن كاميرات الفيديو لم تسجّل دخول أي شخص أو خروجه!».

فأوضح السيد كورنويل: «ما عنيته حينها هو أنه ما من أحد مشتبه به. فنحن لا نعتبر موظفي الفندق والعمال الذين يأتون ويذهبون كل يوم بمثابة مشتبه بهم؛ فقد تم اختيارهم بعناية!».

حدّق تشاندلر إلى أغاثا بفخر، وقال بصوت عالٍ: «إذاً، بعدما أخذ ساعي البريد الرزمة المحتوية على المجوهرات، جلس راتموسكيه وحضر الحفلة. وعندما انتهت، غادر مع بقية الجمهور. لذا، لم يتمكن أحد من الانتباه إليه وسط الحشود!».

فغمزته أغاثا مؤكدة ما توصّلت إليه: «تصرّف عبقري، أليس كذلك؟».

«أنتِ العبقرية أيتها السيدة الصغيرة». شكرتها السيدة هوفستيتر بأن عانقتها بحنان بذراعيها الضخمتين، ثم قالت: «إذا تمكنتم من إعادة مجوهراتي النفيسة، فسأقيم لكم حفلة خاصة في منزلكم!».

كانت سعيدة جداً لدرجة أنها خرجت إلى الشرفة مغنية مقطعاً موسيقياً بصوت عالٍ، فصدحت نغماتها العالية بالرغم من هدير الشلالات.

همس داش لابنة عمه: «كدت... كدت... أظن أن هذه المهمة قد فشلت». وأدار رأسه كي لا يسمعه تشاندلر الذي كان يراقب المغنية مسحوراً.

بعد خمس دقائق، اتصلت سكارليت ونقلت لهم أخباراً جيدة. «حصلت على العنوان الذي أُرسِل إليه الطرد. ماذا سنفعل الآن؟».

فأجابتها أغاثا: «سنبدأ بملاحقته».

بدت سكارليت فرحة وهي تقول: «كنت آمل أن تقولي هذا».

ودّعوا السيدة هوفستيتر بسرعة وغادروا الفندق. وكانت سكارليت تنتظرهم في الخارج في سيارتها المقفلة، فيما المحرك يعمل. وما إن وضعوا أحزمة الأمان حتى توقفت سيارة سوداء كبيرة لامعة قربهم، وانخفض زجاج النافذة مصدراً صوت طنين.

قال السيد كورنويل: «هل تظنون أنكم ستأخذون المجد بمفردكم؟ الحقوا بنا!».

واستخدم صيغة المتكلم الجمع لأن الحارس ضخم البنية كان يقود السيارة، فيما انحنت كتفاه الكبيرتان فوق

عجلة القيادة. وجّهت إليه سكارليت نظرة تحدٍّ، ثم ضغطت على دواسة الوقود متجهة شمالاً على الطريق السريع.

أخبرها ركابها بما توصلوا إليه، وأصغت سكارليت إلى كل كلمة بانتباه. لكنها عندما سمعت اسم راتموسكيه، ارتجفت يداها بسبب شعورها بالحماسة. ولو لم يمد تشاندلر يده لتثبيت عجلة القيادة لانحرفت العربة حتماً عن الطريق. قالت بتعجب: «راتموسكيه الشهير! السارق الأكثر شهرة في العالم! سيكون هذا أهم موضوع أكتبه في حياتي!».

تنحنح داش قليلاً ثم قال: «تذكّري يا ابنة عمي العزيزة أن هذه المهمة سرية جداً».

فهزّت سكارليت كتفها قائلة: «حسناً، ها هي جائزة بوليتزر لي. لكن، يجب أن تعرف أنني فخورة جداً بكوني جزءاً من هذه المغامرة الحماسية!».

وضغطت أكثر على دواسة الوقود، ثم أعطت أغاثا خريطة الطريق سائلة إياها: «هل يمكنك تحديد الموقع من فضلك؟».

«لا مشكلة! إلى أين سنذهب؟».

«لن تصدقي هذا، لكن ريك موريارتي يعيش في أحد الأمكنة الجميلة في كندا، في منطقة موسكوكا، المعروفة أيضاً باسم أرض البحيرات!».

تأملت أغاثا الخريطة، وربّتت على أنفها بطرف إصبعها، ثم صرخت: «وجدتها! منطقة محاطة بالمساحات البرية: غابات صنوبر، بحيرات، جزر تعصف بها الرياح، وروائع طبيعية أخرى!».

سأل داش بتململ: «نعم، لكن كم تبعد؟ أعطيني عنوانه، وسأدخل المعلومات في نظام تحيد الموقع في جهاز الآي نت».

أنجزت سكارليت حساباً ذهنياً سريعاً، ثم قالت: «نحن على مسافة أقل من ساعتين من تورونتو، ونحتاج إلى ساعتين إضافيتين للوصول إلى بحيرة الصنوبر؛ إحدى أكبر البحيرات في موسكوكا. لذا، أظنّ أنه يمكننا الوصول إلى مقرّ راتموسكيه قبل غروب الشمس!».

كانت حساباتها دقيقة تماماً.

كانت السيارة رباعية الدفع الخاصة بالسيد كورنويل تسير خلفهم مباشرة. اجتازوا لافتة كتب عليها أهلاً بكم

في موسكوكا مباشرة عند وصول الشمس إلى خط الأفق، حيث رسمت ظلاً برتقالياً حيوياً على البحيرة.

كان المشهد يحبس الأنفاس. فالهضاب مغطاة بنبات القيقب الأحمر، والبلوط الذهبي، والصنوبر الداكن؛ كما لو أنها لوحة طبيعية جميلة. وثمة أكواخ خشبية ريفية متناثرة على حافة البحيرة، مع أرصفة تمتد في المياه التي تعكس أشعة الشمس.

انعطفوا نحو طريق خلفية ملتوية تحاذي حافة بحيرة الصنوبر. لم يلمحوا أي شخص من مسافة أميال عدة، وكان الظلام يهبط بسرعة، فزادت سكارليت سرعتها.

وهكذا، لم ترَ الرجل الذي يمتطي الحصان.

«سكارليت، انتبهي!». أفلتت أغاثا الخريطة، وضربت كلتا يديها على لوحة القيادة.

ضغطت سكارليت على المكابح بقوة، فتوقفت العربة المقفلة فجأة، وعبق الهواء برائحة مطاط محترق.

صدح خلفهم بوق السيارة رباعية الدفع، وصرخ السيد كورنويل وقد أخرج رأسه من النافذة: «هل فقدت صوابك؟ من علّمك القيادة؟».

لم تجب سكارليت، إذ ثمة مشكلة أسوأ عليها مواجهتها. فالشخص الذي يمتطي الحصان والذي كادت تصدمه يرتدي المعطف الأحمر الساطع الخاص بأفراد الشرطة الكندية الملكية!

ترجل الشرطي عن صهوة الحصان، واقترب من العربة المقفلة، وتحقق من رخصة قيادة سكارليت، ثم قال بهدوء: «لقد تسببتِ لنفسك بغرامة كبيرة يا آنسة ميستري». وأخرج دفتر محاضر الضبط، ثم أضاف بالنبرة المسترخية نفسها: «وعليّ مصادرة سيارتك، هل اتفقنا؟».

كانوا عملياً على بعد خطوات من كوخ راتموسكيه. لذا لا يجب أن يحصل ذلك الآن!

قدحت أغاثا زناد أفكارها باحثة عن حل. ولكن قبل أن تتفوه بأي كلمة، خرج السيد كورنويل من سيارته وبدأ يتناقش مع الشرطي.

جفلت أغاثا حين صرخ مدير الفندق محدثاً جلبة كبيرة: «هل سمعت ما قلته؟ نحن نتعقب أثر سارق مجوهرات! لا بد أنك سمعت بالسارق راتموسكيه الشهير. وإذا لم تسمح لنا بالمرور، فقد يهرب منا، ولن نتمكن حينها من إلقاء القبض عليه إطلاقاً».

طلب الشرطي معرفة المزيد من التفاصيل. وفيما قام السيد كورنويل بإخباره عن عملية السرقة، قضم داش أظفاره، بينما اعتذرت سكارليت من تشاندلر وأغاثا مراراً وتكراراً. وحده حارس أمن الفندق وقف بعيداً، وراقب المشهد بهدوء من خلف نظارته الداكنة.

قال الشرطي: «حسناً، سأذهب للتحقق من ذلك. وإذا كنتم تتفوّهون بالأكاذيب، فسأكون مجبراً على إرسالكم إلى السجن جميعاً». ثم امتطى مجدداً صهوة الحصان، وأخرج المسدس من قرابه، وانطلق بسرعة.

لحقت به السيارتان وصولاً إلى مركب بخاري قرب البحيرة. أمرهم الشرطي بالتوقف هناك، ثم أشار إلى كوخ أبيض مخبأ خلف أجمة من الأشجار، وقال لهم بنبرة سلطوية: «انتظروا هنا بصمت مطلق». ثم انطلق على صهوة الحصان على الطريق الترابية متجهاً إلى الكوخ.

وما إن اختفى خلف الأشجار حتى استدارت أغاثا نحو المدير قائلة له: «طلبت منا السيدة هوفستيتر عدم إبلاغ الشرطة. والآن، سيعرف الجميع بأمر السرقة وضلوع أكاديمية آي الدولية في التحقيق!».

أجابها السيد كورنويل بعصبية: «ومن يهتم بأمر السرية؟! فالمهم هو إلقاء القبض على المذنِب. إذ إن سمعة فندقي على المحك!».

طقطق تشاندلر براجم أصابعه بطريقة مخيفة، ففعل حارس الأمن مثله.

إلا أن سكارليت التي كانت جالسة على مقعد خشبي قاطعت هذا التوتر وقالت بمرارة: «إنها غلطتي. لقد أفسدت الأمر هذه المرة». ونزعت عن رأسها قبعة رعاة البقر.

فقال داش: «إذاً، لست الأخرق الوحيد في العائلة». وبدا مسروراً. غير أنه ندم على كلماته ما إن نطق بها، فربّت على كتف سكارليت مواسياً إياها، وقال: «لا تكوني قاسية على نفسك يا ابنة عمي! ها قد عاد الشرطي».

وبالفعل، كبح الشرطي الكندي جماح حصانه، ولوّح بسوار ذهبي في الهواء، وصرخ: «اتبعوني! أحتاج إلى الدعم».

الفصل السابع

تحت مليار نجمة

وفيما أسرعت المجموعة باتجاه الطريق الترابي، أخبرهم الشرطي بما حصل في الكوخ.

فعندما طرق على الباب، سمع أصواتاً مريبة في الداخل. عندها، أشهر مسدسه، ودخل في الوقت المناسب ليرى شخصاً يهرب من النافذة حاملاً رزمة تحت إبطه. فصرخ طالباً منه التوقف، لكن الشخص اختفى بسرعة البرق بين الأشجار الكثيفة.

وعلى الطاولة، لمح الشرطي بعض الأوراق، وسواراً ذهبياً حفر عليه الحرفان هـ هـ

فقالت أغاثا: «هيلغا هوفستيتر».

استنتج الشرطي: «لقد تركه خلفه بسبب استعجاله في الهروب. لكنّ هذا يؤكد شكوكم».

ابتسم داش لسكارليت. فما من أحد يفكر في غرامة السرعة الآن. ولحسن الحظ، سوف يلقون القبض على راتموسكيه قريباً. عندها، أطلقت تنهيدة ارتياح.

قال الشرطي فيما ترجل عن حصانه: «اتبعوني إلى الداخل، وسوف ترون بأعينكم!».

كان السيد كورنويل أول من دخل، حيث ركل الباب بقوة، ودخل الغرفة بسرعة للتفتيش في الأوراق الموجودة على الطاولة. وبعد قليل صرخ غاضباً: «هذه خرائط الهندسة المعمارية الخاصة بفندقي. وانظروا إلى هذه الصور. ذلك السارق خطّط لكل شيء، وانتبه إلى أدق التفاصيل!».

نظر داش إلى الصور التي أظهرت فندق أوفرلوك من كل الزوايا الممكنة، فيما رفعت أغاثا بعض مقالات المجلات التي تتحدث عن هيلغا هوفستيتر، وكتاباً ذُكِرت فيه تعليمات بشأن الخزنات ذات الأقفال الإلكترونية.

إنهم يملكون الآن الأدلة الصحيحة بين أيديهم!

نظر تشاندلر إلى خارج النافذة، حيث بدأت النجوم تظهر في السماء، وسأل بنبرة مشكِّكة: «كيف سنلقي القبض على السارق يا آنسة أغاثا؟».

قال الشرطي: «هذه ليست مشكلتكم. فقد اتصلت لاسلكياً بالمقر الرئيس للشرطة في تورونتو، وفي غضون ثلاث ساعات، ستكون هذه الغابة مليئة برجال الشرطة الذين سيمشطون المنطقة كلها».

فرددت أغاثا مصدومة: «ثلاث ساعات! هل تمزح؟! لا يمكننا منح راتموسكيه هذه الفترة الزمنية الطويلة، فعندها سيتمكن من الهرب!».

واحتج داش شابكاً ذراعيه: «لدينا مهمة يجب إنجازها».

عندها، انفجر السيد كورنويل ضاحكاً، وقال وهو يربّت على ذقنه: «ما الذي يمكنكم فعله أيها الولدان؟ لا توجد هنا سوى أميال من الغابة، فهل تظنان أنكم ستجدون راتموسكيه ما إن تتجولوا في الخارج في العتمة؟».

تذمر داش، فيما أمسكت أغاثا بخريطة الطرق الخاصة بسكارليت وفردتها على الطاولة. ثم ربتت على أنفها محاولة التركيز وسط كل هذه الجلبة. فخلال الرحلة، لاحظت مكاناً ذا اسم غريب قرب بحيرة الصنوبر. وسرعان ما قالت بفرح: «ها هو! أراهن أن راتموسكيه يختبئ هنا». فيما وضعت إصبعها على مكان محدد على الخريطة.

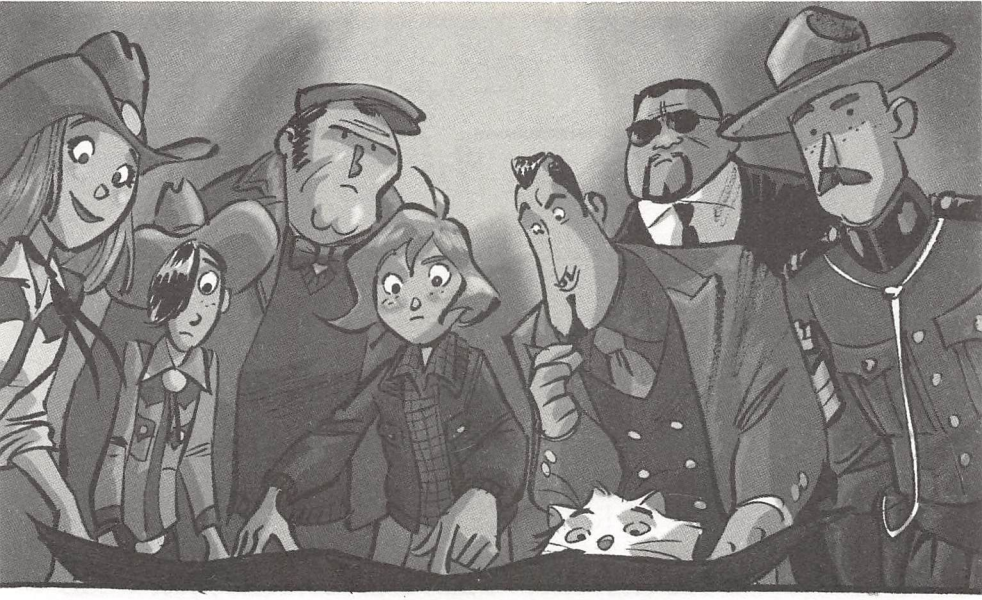

استدار الجميع للتحديق إليها، متسائلين عن كيفية تمكنها من معرفة ذلك.

غير أنها تابعت كلامها: «سنحتاج إلى بعض المصابيح، وأحذية مناسبة للمشي».

نظر داش إلى المكان الذي كانت ابنة عمه تشير إليه؛ إنه حديقة عامة في الهضاب الصخرية التي رأوها من الطريق. قال: «محمية السماء الداكنة! ما هذا؟».

ما إن سمعت سكارليت ما قاله ابن عمها حتى صارت أكثر انتباهاً، وسرعان ما أومأت برأسها قائلة: «إنها فكرة رائعة يا أغاثا! سيكون هذا المكان مثالياً للاختباء ليلاً. وممرّ الدخول موجود هنا مباشرة!».

تمتم داش متذمراً: «هل تستطيع إحداكما أن تشرح لي؟».

فقالت سكارليت: «محمية السماء الداكنة عبارة عن مساحة محمية من تشويش الضوء الاصطناعي. يذهب علماء الفلك إلى هناك لمراقبة النجوم من دون الحاجة إلى تلسكوبات كبيرة. فالعتمة حالكة هناك».

قالت أغاثا بإلحاح: «هيّا يا رفاق! فلنحضر ما نحتاج إليه من العربة المقفلة ولننطلق!».

غادروا الكوخ وأسرعوا في الطريق الوعرة.

وحين استعدوا للانطلاق سيراً على الأقدام بين الهضاب ليلاً، انضم إليهم الشرطي والسيد كورنويل وحارسه الشخصي.

قال السيد كورنويل: «سوف نذهب معكم. التعزيزات باتت قادمة، لكنْ لا يمكننا السماح لكم بالذهاب بمفردكم فيما ذلك المجرم الخطير حرّ طليق».

وقال الشرطي وهو يلمس قراب مسدسه: «نحن مدربون ومسلحون». فزمجر حارس الأمن وربّت على جيبه.

عندها، نظرت إليهم سكارليت بتمعن، ثم قالت: «أووه. حسناً، حسناً، قد تكون ثلاثة أزواج إضافية من العيون مفيدة لنا».

ودّعت أغاثا واتسون الذي كان يأخذ قيلولة في قفصه المحمول، ثم أضاءت مصباحها الضوئي ولحقت بالآخرين

الذين سبقوها. سارت سكارليت في المقدمة؛ إذ شعرت بالثقة في بيئتها الطبيعية.

مشوا خلسة عبر الغابة لمسافة ميل تقريباً. بدا الليل أكثر رهبة بفعل الأشجار الكثيفة والنعيب البعيد الصادر عن طيور البوم.

وفي مرحلة ما، اجتازوا جدولاً صغيراً، وأصبحت الأرض زلقة بفعل الوحل. عندها، أشارت سكارليت إلى المجموعة للتوقف، ثم ركعت وأضاءت مصباحها وسلّطت نوره على آثار أقدام متوجهة نحو أعلى الهضبة، وهمست بنبرة راضية: «أمسكنا بك الآن يا راتموسكيه!».

فسألها السيد كورنويل: «هل أنت واثقة من أن هذه الآثار تخص رجلنا؟».

«إنها جديدة».

«كم هي جديدة؟».

«أقل من ساعة».

ارتجف داش، وشدّ سترته على جسمه، وسأل: «كيف سنجد آثاره على مثل هذه الأرض الصخرية التي أمامنا؟». وأشار إلى الطريق بمصباحه الضوئي.

فقالت أغاثا: «سنفكر في شيء ما».

صعدوا الهضبة بصعوبة، وتضاءلت مساحات الأشجار تدريجياً، مفسحة المجال أمام نباتات الأشنة والشجيرات الشائكة. ثم اختفت الطريق خلف كومة من الحجارة، وتوجب على أفراد الفريق التوقف في مكانهم.

ابتسمت سكارليت ابتسامة عريضة وقالت: «الآن، يبدأ المرح».

فأجابها داش: «هل تعرفين شيئاً؟ أنا لا أسمي هذا الأمر مرحاً بالضبط».

«أطفئوا المصابيح قليلاً، وسوف ترون عرضاً مذهلاً».

أذعنوا جميعاً لطلبها، ورفعوا عيونهم إلى السماء حيث تحركت مليار نجمة ساطعة في مجرات مشرقة. حتى إن حارس الأمن البغيض من فندق أوفرلوك شهق متعجباً. كان المشهد رائعاً فعلاً.

قال تشاندلر: «عذراً، لا أريد إفساد الجو... لكنني أعتقد أنني أرى ضوءاً!».

وأشار إلى جلمود صخر كبير في أعلى هضبة تبعد نحو نصف ميل.

كان محقاً. فلا شك في أن هناك مصباحاً ضوئياً يتحرك شعاعه الضوئي في كل الاتجاهات، كما لو أن الرجل الممسك به قد أضاع طريقه.

حذّرتهم سكارليت فوراً: «لا تضيئوا مصابيحكم! فإذا لمح الضوء سيدرك وجودنا فوراً، وعندها سيطفئ مصباحه ويختفي في العتمة!».

عندها، سأل السيد كورنويل وقد جلس القرفصاء: «وما هي الخطة؟».

فهمس الشرطي الكندي: «أقترح أن نحاصره. سننقسم إلى مجموعتين: واحدة ستقترب منه من الجهة الأمامية، أما الثانية فستذهب إليه من الخلف».

وافقوا جميعاً على خطته.

منعهم الضوء الخفيف الصادر عن النجوم من التحرك بسرعة كبيرة، لكن المجموعة الثلاثية المؤلفة من الشرطي الكندي والسيد كورنويل وحارسه الشخصي نجحت في تسلق الهضبة الصخرية ببراعة.

أما سكارليت فرافقت تشاندلر والولدين إلى الجهة البعيدة من الهضبة، وقد أبقى الجميع عيونهم على الضوء

المتلألئ فوقهم. تعثّر داش بالجذور مرات عدة، وغطّته الخدوش. ولكن، بعد مرور بضع دقائق، وجدوا بقعة مثالية للاختباء خلف صخور كبيرة قرب الطريق، فانتظروا بصمت.

فجأة، سمعوا صوت طلق ناري، تلاه صراخ غير مفهوم.

كان راتموسكيه يتلمس طريقه مستعيناً بنور مصباحه، ونزل منحدر الهضبة بسرعة لا تصدق. قفز من جلمود إلى آخر، ومرّ قرب البقعة التي تختبئ فيها مجموعة سكارليت، ثم اختفى عن الأنظار.

قال داش: «يا إلهي، لقد أضعناه!».

فقالت أغاثا: «الحقوا بضوء مصباحه!».

كان تشاندلر وسكارليت الأسرع بينهم، فسبقا الولدين.

أما أغاثا وداش فقد شقّا طريقهما بحذر فوق الحصى المبعثرة، ووجدا نفسيهما في ممر ضيق فيه القليل من الماء في الأسفل. كان الجو معتماً جداً، وكان من الصعب عليهما الحفاظ على توازنهما.

سأل داش: «ماذا سنفعل الآن؟ ما الذي يجدر بنا فعله؟».

«تعقبه بواسطة جهاز الآي نت».

جلس داش على جلمود صخري، وشغّل وظيفة الأشعة دون الحمراء للبحث عن مصادر الحرارة، فظهرت دائرة من الضوء على الشاشة. عندها، قال متعجباً: «وجدته!». إلا أنه عاد وصحح لنفسه بعد قليل. «لا، لقد طار شيء عن الشجرة. لا بد أنه بومة...»

قالت أغاثا: «هناك آلاف الحيوانات البرية في هذه الغابات. جرّب وظيفة أخرى».

«مثل ماذا؟».

أشرق وجهها، وبدا الذكاء في عينيها وهي تقول: «إذا خدمتني ذاكرتي جيداً، لقد قلتَ لي إنك تملك في الجهاز وظيفة جديدة تتيح لك الاستفادة من الأقمار الاصطناعية. لذا، إذا استطعت توجيه أحدها إلى إحداثياتنا، فسيكون لدينا ربما مصدر واحد فقط للضوء».

«ضوء مصباح راتموسكيه!».

فابتسمت أغاثا مؤكّدة: «بالضبط يا ابن عمي، بالضبط».

الفصل الثامن

اكتشاف الحقيقة

في المحاولة الثانية، نجح داش في إدخال الإحداثيات الصحيحة، ثم انتظر بشغف، وتململ بسبب شعوره بالإحباط، وبعد ذلك قال موجّهاً كلامه إلى جهاز الآي نت: «أنت بطيء مثل لعبة الأطفال الصغار. هيّا تحرك!». ثم تحول صوته إلى همس مرتجف وهو يكلّم أغاثا: «أغاثا، هل يمكن أن أكون مخطئاً؟ لكنني أعتقد أن المصباح الضوئي موجود خلفنا!».

استدار الولدان بسرعة، فواجها شعاعاً ساطعاً من الضوء. عندها، صرخ داش مذعوراً، وتردد صدى صوته بين الصخور، ممّا جعل الصوت يبدو أعلى بكثير.

كان ذلك الصراخ النهاية الفعلية لعملية فرار راتموسكيه. فقد حاول السارق المرور عبر المجرى الضيق، لكن

سكارليت وتشاندلر كانا في انتظاره، فحاول تبديل اتجاهه بسرعة، لكن فريق الفندق ركض نحو مصدر الصوت وسدّ طريقه. كما أطلق الشرطي الكندي طلقة تحذيريةً في الهواء.

تم توقيف راتموسكيه من دون أية كلمة.

فكبّله الشرطي الكندي بالأغلال، وقرأ عليه حقوقه بصوت رزين؛ بالترافق مع صيحات النصر التي أطلقها الآخرون.

قال السيد كورنويل مبتسماً ابتسامة عريضة: «عمل رائع أيها الولدان! فمن دونكما، ما كنا لنعرف المكان الذي سيهرب إليه».

كان داش وأغاثا لا يزالان مذهولين جداً، وعجزا عن الإجابة. وشقّ تشاندلر وسكارليت طريقهما في المجرى المائي، فركض الولدان لملاقاتهما. صرخ داش بحماسة: «لقد فعلناها! لقد نجحنا في إلقاء القبض على الشهير راتموسكيه!».

لكن، كانت هناك مشكلة وحيدة: أين خبأ رزمة المجوهرات؟!

وفيما عادوا أدراجهم إلى السيارتين، أمطر السيد كورنويل السجين بالأسئلة، لكن راتموسكيه بقي صامتاً وأبكم مثل السمكة.

فقال السيد كورنويل: «يعتقد أنه يتذاكى بالتزامه الصمت، لكن الشرطة ستجبره على الكلام».

وصلوا إلى الكوخ بعد منتصف الليل، وكانوا مرهقين.

قالت أغاثا: «يجدر بنا إبلاغ السيدة هوفستيتر».

فوافقها تشاندلر الرأي: «رغم أننا لم نستعد مجوهراتها بعد، إلّا أنه يفترض بها أن تشعر بالارتياح لأننا ألقينا القبض على راتموسكيه».

جلس داش على كرسي هزاز، وأخرج جهاز الآي نت، وفتّش بين الأسماء المسجلة لديه، ثم صرخ متضايقاً بسبب ضعف الإرسال: «أوه، جهاز الآي نت بطيء جداً اليوم».

عند سماعه هذه الكلمات، تململ راتموسكيه في مكانه والأغلال تحيط بيديه قائلاً: «RM53».

سأل داش، وهو لا يزال شارداً: «هل قلتَ شيئاً؟».

عندها، قال الحارس الذي يحمل المسدس للص: «اخرس».

إلا أن أذني أغاثا انتبهتا، ففكرت في سرها: « RM53!، أين سمعت بهذا من قبل؟ أوه طبعاً. على متن الطائرة التي استقلّوها إلى نيويورك. كنا نتحدث عن رئيس القسم -5، الذي أعطانا تفاصيل المهمة... لكن، ما علاقة راتموسكيه بالعميل RM53؟».

سألت سكارليت بقلق: «ماذا يجري؟ أغاثا، أصبحتِ شاحبة جداً. هل أنت بخير؟».

لكن أغاثا لم تسمع قريبتها. فدماغها كان يعمل بسرعة كبيرة، ويحاول تذكر كل شيء حصل منذ أن بدأوا بالتحقيق. وبعدما وضعت كل الأجزاء مع بعضها وفهمت الحقيقة، نظرت إلى وجوه الحاضرين. لقد ارتكبوا خطأ كبيراً!

اقتربت من تشاندلر، وهمست بشيء ما في أذنه، فبدا كبير الخدم مذهولاً، ولكنه نجح في الحفاظ على رباطة جأشه.

وحده الوقت كفيل بكشف هوية الشخص الذي سرق مجوهرات السيدة هوفستيتر!

قالت أغاثا وهي تقف في وسط الغرفة: «أريد انتباهكم جميعاً من فضلكم!». وأدركت أن صوتها يرتجف بسبب تأثرها بما عرفته، فحاولت تمالك نفسها.

نظر إليها الشرطي الكندي بتعاطف، وطمأنها قائلاً: «لا تخافي يا أغاثا. هناك ثلاثة رجال من الشرطة في طريقهم إلينا».

فسألته: «لاعتقال من؟».

فقال مدير الفندق: «الأمر جلي، أليس كذلك؟ فكل الأدلة تشير إلى راتموسكيه!».

عندها، ربتت أغاثا على أنفها. وكانت هذه هي الإشارة التي اتفقت عليها مع تشاندلر.

وسرعان ما أطبق الملاكم السابق قبضتَي يديه ووجه ضربتين مباشرتين إلى السيد كورنويل والشرطي الكندي

اللذين وقعا أرضاً على الفور كما لو أن قطاراً قد صدمهما.

وبعد جزء من الثانية، استعمل راتموسكيه قدميه ببراعة لإخراج المسدس من قراب الشرطي الكندي، ورماه إلى البحيرة بركلة واحدة قوية.

كان حارس الأمن على وشك الانقضاض على كبير الخدم، غير أن أغاثا وقفت أمامه رافعة يديها، وقالت بهدوء: «ليس بهذه السرعة. نريد أن نريك شيئاً».

بدا داش مرتبكاً تماماً، وسألها: «ما الذي تريدين إظهاره له؟».

أجفلت أغاثا وأجابته موضحة: «المكان الذي تم إخفاء المجوهرات فيه يا ابن عمي العزيز. أفلت هذا الرجل».

لم تفهم سكارليت ما يجري، ولكنها وثقت في أغاثا تماماً، فانحنت فوق الشرطي الكندي وسحبت المفتاح الخاص بأغلال راتموسكيه وفكّت قيوده.

عندها، قالت أغاثا لحارس الأمن: «ستكون شاهدنا يا سيدي. بالمناسبة، ما اسمك؟».

فتمتم الرجل مستغرباً: «سميث. بوب سميث».

«انتبه إلى هذا يا سيد سميث!». واقتربت أغاثا من

حصان الشرطي الكندي، وسحبت رزمة عليها شعار فيدكس من أحد جيبَي السرج، ثم عادت إلى المقعد الخشبي وفتحت الرزمة بعناية، ونزعت طبقات من النايلون السميك المزود بالفقاعات إلى أن لمع شيء ما تحتها.

كان الكيس مليئاً بالمجوهرات!

شرحت أغاثا: «هل ترون؟ لقد كان المذنبان ذكيين جداً. فقد حضّرا لخطتهما طوال أشهر، وحاولا إلصاق التهمة بشخص سيبدو مذنباً بسبب ماضيه الجرمي...»

فقال داش الذي كان لا يزال يجهل كيف اكتشفت أغاثا الأغراض المسروقة: «لحظة، كيف خرجت المجوهرات من الخزنة؟».

«سرق السيد كورنويل البطاقتين المغنطيسيتين من غرفة الملابس فيما كانت السيدة هوفستيتر على المسرح. واستفاد بعد ذلك من حقّه في التحرّك بحرية في الفندق لسرقة مجوهراتها، ووضعِها في رزمة، وإرسالِها إلى هذا العنوان بواسطة بريد فيدكس».

سأل تشاندلر: «وهل هو الذي ترك قطعة الفرو الصغيرة في غرفة السيدة هوفستيتر؟».

أجابت أغاثا على الفور: «طبعاً. تذرّع بأنه سيطلب لنا شيئاً لنأكله، وأوقع قطعة الفرو بالقرب من الخزنة حيث كان واتسون يلعب».

عندها، سألها داش وهو يحكّ رأسه: «وما علاقة الشرطي الكندي بالسرقة؟».

فابتسمت أغاثا ابتسامة صغيرة، ثم استدارت نحو الحارس وسألته: «حضرة السيد سميث، هل أجرى السيد كورنويل أي اتصالات هاتفية فيما كنا نقترب من الكوخ؟».

فكر قليلاً، ثم أجاب: «نعم. لكنني لم أعرف مع من تحدث».

«لقد اتصل بصديقنا الذي كان يمتطي صهوة الحصان، والذي ظهر «صدفة» وسط الطريق. ألا تظن أنها مصادفة غريبة؟».

فأومأ الحارس برأسه من دون أن يُبدي أية ردة فعل، وبدت سكارليت متأثرة جداً.

تابعت أغاثا كلامها قائلة: «كان الشرطي الكندي على تواصل مع السيد كورنويل منذ البداية. وقد كان في طريقه إلى هنا لاستلام الرزمة التي تم إرسالها عبر البريد. وعندما

أنذره شريكه بوصولنا، جاء لاعتراض طريقنا، وطلب منا الانتظار بعيداً. وعندما دخل الكوخ، صوّب مسدسه إلى راتموسكيه فهرب هذا الأخير عبر النافذة. أخبرنا العميل RM53 في رسالته أنه مشغول حالياً في مهمة أخرى. وكان قد عاد إلى منزله للتو حين وصل الشرطي، وربما عندما وجد رزمة من المجوهرات في صندوق بريده تساءل عن مصدرها وعمّا يجدر به فعله. أليس هذا صحيحاً يا حضرة العميل RM53؟».

تقدم راتموسكيه أو ريك موريارتي خطوة واحدة إلى الأمام، واستطاع أخيراً التكلم من دون أن يؤذي نفسه، وقال: «لقد تخليت عن عالم الإجرام قبل أعوام عدة، وأصبحت الرئيس الجديد للقسم -5 في أكاديمية آي الدولية. لكن هذين السارقين لم يعرفا ذلك ربما لأنني أعمل بسرية. يا لسوء حظهما!».

تلألأت قطرات العرق على جبين داش، وقال بذهول: «أنت... أنت العميل الذي أعطانا تفاصيل المهمة!».

فابتسم العميل وقال: «بالضبط يا زميلي. أعتذر لأن الاتصال كان سيئاً جداً عندما أرسلت لك التعليمات. فقد كنت أجري تحقيقاً في عملية خطف بمساعدة الكلاب

في قرية لقبيلة الإينويت قرب القطب الشمالي! وعندما وصلتم إلى نيويورك، كنت في طريقي إلى موسكوكا على متن طائرة بحرية».

تحرّك الشرطي الكندي ومدير الفندق وقد بدآ يستعيدان وعيهما. وفي تلك اللحظة، طرح حارس الأمن بوب سميث سؤالاً واحداً أخيراً: «ولكن، لماذا تم ملء الكوخ بالأدلة الموحية؟ الصور الفوتوغرافية والخرائط...»

أجابت أغاثا: «لقد وضعها الشرطي هناك. فقد امتلك كل اللوازم الضرورية لاتهام راتموسكيه، وقام ببسطها على الطاولة عندما هرب راتموسكيه. أراهن أنه ظنّ نفسه عبقرياً باستبداله رزمة المجوهرات بكومة من الأدلة الخاطئة».

سُمع صوت صفارات سيارات الشرطة القادمة من بعيد.

سألت أغاثا: «هل أنت مستعد لتكون شاهدنا يا سيد سميث؟».

تردد الحارس قليلاً ثم قال: «عليّ الاعتراف بأنني مرتبك قليلاً، ولكنك أقنعتني يا آنستي. بالإضافة إلى ذلك، كان السيد كورنويل مديراً حقيراً».

ضحكوا جميعاً، وحضّر تشاندلر المذنبَين للخضوع لاستجواب الشرطة، حيث أيقظ الشرطي الكندي بأن رمى دلواً من ماء البحيرة على وجهه.

وفيما كان يملأ الدلو الثاني بالماء، ربّت بوب سميث على ذراعه وسأله: «هل أستطيع فعل ذلك؟».

فأومأ تشاندلر برأسه، وأعطى الدلو إلى حارس الأمن.

عندها، قال بوب مبتسماً ابتسامة عريضة: «هذا الدلو لك يا سيدي». ورمى الماء شديد البرودة على السيد كورنويل.

وفيما تذمّر السارقان من إفساد جريمتهما التي كانت مثالية برأيهما، أخذ راتموسكيه كلاً من داش وأغاثا جانباً، وهنأهما قائلاً: «أنتما فريق مذهل! سأحرص على إخبار المدير العام في أكاديمية آي الدولية عن الخطر الذي تعرضت له، وأنني لولا مساعدتكما لكنت الآن أعاني من مشكلة حقيقية!».

أجابت أغاثا بتواضع: «جئت فقط لتوفير الدعم المعنوي. أما الفضل كله في النهاية السعيدة لهذا التحقيق فيعود إلى العميل DM14 في أكاديمية آي الدولية!».

أحس داش برعشة، وهمس قائلاً: «المدير العام! شكراً جزيلاً لك يا حضرة العميل RM53!». ثم نظر إلى رزمة المجوهرات، وأمسك أغاثا بذراعيها وراح يقفز متحمساً.

وصرخ مبتسماً ابتسامة عريضة: «رقصة النصر! نحن فريق ميستري الذي لا يهزم».

تحركت سيارة سكارليت في الطرقات المتعرجة بين

الخاتمة

حلّ اللغز

بحيرات موسكوكا. إنه الصباح الباكر، وقد ألقت الشمس بوهجها الذهبي على أوراق الخريف، وحلّق في السماء سرب كبير من الإوز الكندي متجهاً نحو الجنوب.

قال داش متوسلاً: «ألا يمكننا البقاء لبضعة أيام إضافية لقضاء فترة إجازة؟ فموسكوكا أجمل مكان رأيته في حياتي!». وكان فرحاً لنجاح مهمتهم.

فحذّرته أغاثا: «أنت تعرف تماماً ما ستقوله أمك. فإذا اكتشفت أنك مسافر من أجل المرح بدلاً من إنجاز مهمة للمدرسة فسوف تخنقك!».

ابتسم داش ابتسامة متكلفة وقال: «إنها منهمكة بالتسوق، حيث لن تلاحظ غيابي إذا اختفيت!».

اقترح تشاندلر وقد تورّدت أذناه: «يمكننا التوقف

في الفندق قرب شلالات نياغارا قليلاً لتوديع السيدة هوفستيتر».

فابتسم داش وأغاثا ابتسامة عريضة.

مازحه داش قائلاً: «أنظر إلى نفسك يا روميو. آسف لتذكيرك، لكن... ممم... صديقتك سافرت إلى مدينة كنساس هذا الصباح من أجل المحطة التالية في جولتها الفنية؛ أي إلى فندق هارتبرايك».

وقالت سكارليت مبتسمة ابتسامة عريضة: «لا تكن فظاً يا داش. السيدة هوفستيتر وعدت أغاثا بأن تذهب إلى قصر ميستري لتقيم حفلة خاصة. إذا كنت موجودة في مكان ما قريب من هناك حينها، فسأبذل ما بوسعي للذهاب والانضمام إلى نادي معجبيها».

تورّد وجه كبير الخدم خجلاً، وحكّ رأس واتسون بخشونة قليلاً، فأصدر هذا الأخير مواء عالياً.

تسارعت المناظر الطبيعية أمامهم فيما تابعوا الكلام في ما بينهم. وأدركت أغاثا أنهم حين يصلون إلى تورونتو سيضطرون إلى توديع سكارليت، والركوب في أول رحلة متجهة إلى لندن. سوف تشتاق إلى قريبتها المغامرة.

تذكّر داش وسكارليت مجدداً أبرز ما حصل في الليلة الماضية.

«كانت ضربة تشاندلر المزدوجة مذهلة!».

«هل رأيت كم كان السيد كورنويل حقيراً؟».

«عرفتُ أن هناك خطباً ما فيه. من يضع ربطة عنق كتلك!؟».

«أريد العودة إلى محمية السماء الداكنة».

بعد برهة، كانوا قد تحدثوا حول كل الأمور. استمرت المناظر الطبيعية المذهلة بالمرور أمام عيونهم، وبعد أشجار القيقب الحمراء ظهرت أشجار الصنوبر. وعندما صعدت العربة المقفلة هضبة عالية وكشفت عن منظر مذهل يطل على البحيرة، أوقفت سكارليت العربة، واقترحت قائلة: «ما رأيكم إذا التقطنا صورة فوتوغرافية لتذكّرنا بكل هذا؟».

ثم توجّهت إلى صخرة مسطحة، وثبتت الكاميرا على الحامل ذي القوائم. وفيما كانت تعدّل الضوابط الأوتوماتيكية، أطلق جهاز الآي نت صوتاً عالياً جداً.

فقال داش متبجّحاً: «اعذروني يا رفاق. لا شك في أنّ المدير العام في مدرستي يتصل لتهنئتي». وأمسك بالجهاز

وأجاب على الاتصال بصوت هادئ: «العميل DM14 في خدمتكم. من المتصل من فضلكم؟».

راقبه الآخرون، فيما تحوّل تبجّحه إلى انكماش وخوف.

«أوه، ممم. أؤكد لك أن هذا ليس صحيحاً...» وبدا محرجاً.

من المتصل يا ترى؟

مرر داش يده في شعره، ثم قال متعجباً: «لماذا لست في المنزل؟ أوه، لأنني مع أغاثا. نعم، نحن في قصر ميستري... نعم، أنا أنجز فروضي طبعاً».

أصبح اللغز أكثر إثارة، فحاولت أغاثا كبح ضحكتها.

وفجأة صرخ: «السيد مارلو! إنه من التقط صوراً لي فيما أنا جالس في مصطبتي! اختبأت في مستوعب للنفايات لتضليله!».

وعندما تذكر الآخرون الرائحة الكريهة التي فاحت من ملابسه التي وصل بها، انفجروا ضاحكين، فغطى داش جهاز الآي نت بيده.

«ماذا؟ أأنت المرأة الشقراء التي كانت في المقهى والتي وضعت نظارة شمسية؟». زمجر التحري الصغير، ثم

تابع غاضباً: «ماما، هذا انتهاك للخصوصية. حسناً، نعم، سوف نعالج هذه المسألة عندما أعود إلى المنزل... قريباً! لا تسأليني متى، لأنني لم أنهِ واجباتي بعد!».

ثم أبعد جهاز الآي نت عن أذنه، فاستطاع الجميع سماع صراخ أمه الغاضب.

توسّل داش إلى أغاثا قائلاً: «أغاثا، أرجوكِ تحدّثي إليها».

أخذت أغاثا الجهاز، وبذلت ما بوسعها لطمأنة قريبتها بالقول لها: «سينام داش في منزلي الليلة. فأنا أساعده في إنجاز بحث حول كندا. ونحن نشاهد حالياً فيلماً وثائقياً رائعاً. لكنني سأرسله غداً إلى المنزل، نظيفاً وبرائحة عطرة!».

بدا الصوت في الطرف الآخر مهذباً عندما أنهت الاتصال.

«إذاً داش، إن الجاسوس الشهير الذي كان يلتقط الصور لك

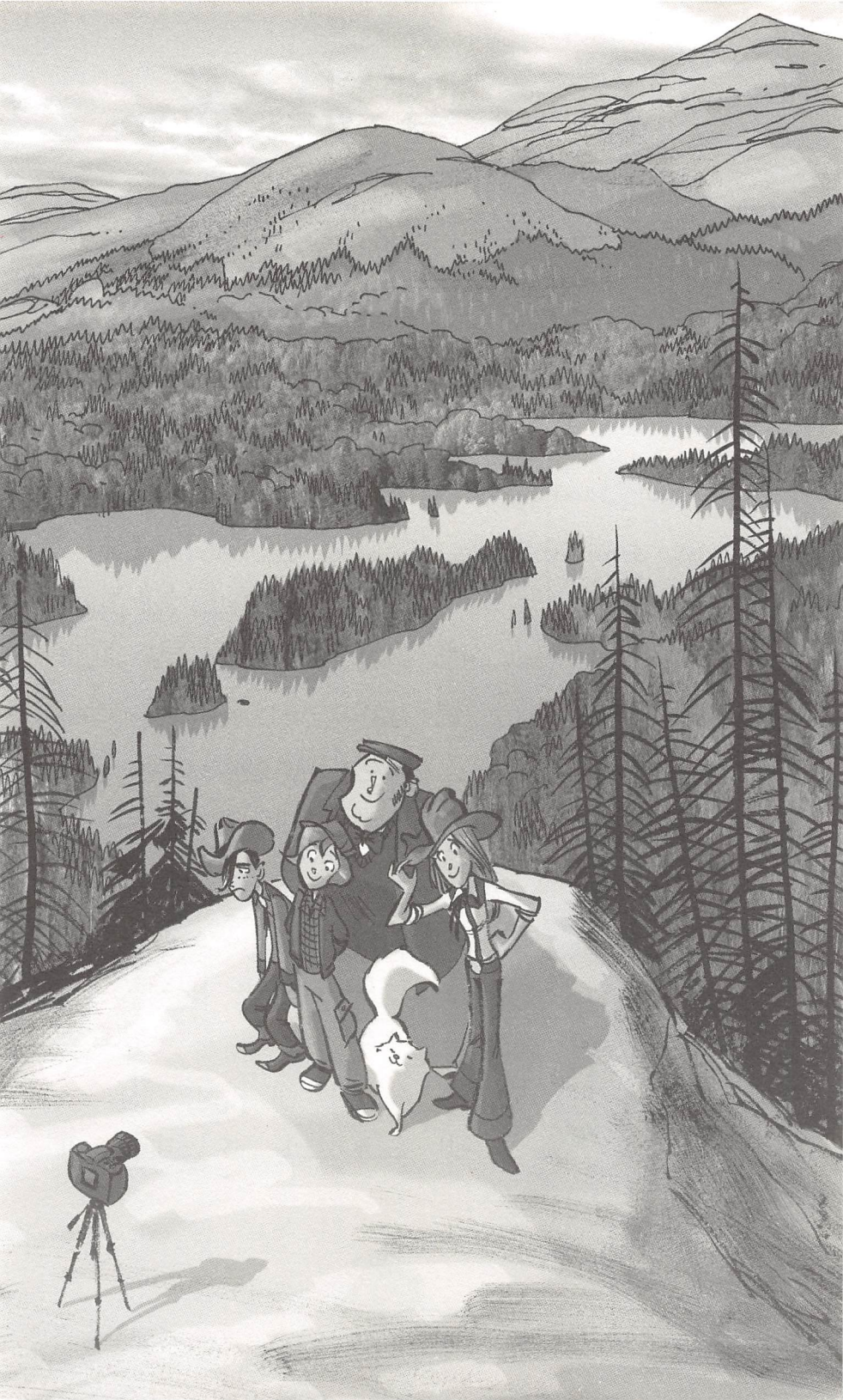

هو جارك، وقد فعل ذلك بالتعاون مع أمك!». ولم تستطع أغاثا كبح ضحكتها، وتابعت: «هذا أمر خطير جداً. إنها مؤامرة!».

كان تشاندلر وسكارليت يضحكان بشدة، لدرجة أنهما كادا يقعان عن المنحدر.

غير أنّ داش كان غاضباً جداً، وقال متعجباً: «ماذا ننتظر؟ هل يمكننا التقاط هذه الصورة؟ ثمة طائرة علينا اللحاق بها في تورونتو!».

عندها، عدّلت سكارليت الضوابط الأوتوماتيكية وركضت للانضمام إلى المجموعة.

بعد قليل...

فلاش!

التقطت الكاميرا صورة ثلاثة وجوه مبتسمة، وهرّ سيبيري أبيض ذي ذيل كثيف، وفتى مراهق داكن الشعر ينظر إلى الأمام محاولاً إخفاء وجهه تحت قبعة رعاة البقر.

لقد وصلت شهرة داش ميستري إلى كندا، التحري الصغير الذي سيتفوق على شارلوك هولمز!

المحتويات

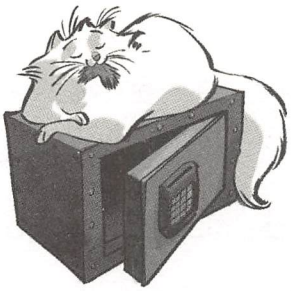

مقدمة: ويبدأ التحقيق..... 9

الفصل الأول: وصول غير متوقع ورحيل مستعجل.... 17

الفصل الثاني: مسح السماء..... 29

الفصل الثالث: فضول شديد..... 41

الفصل الرابع: جناح هيلغا هوفستيتر..... 55

الفصل الخامس: الفأرة التي أحبت الأوبرا..... 69

الفصل السادس: ذيل راتموسكيه..... 81

الفصل السابع: تحت مليار نجمة..... 95

الفصل الثامن: اكتشاف الحقيقة..... 107

الخاتمة: حلّ اللغز..... 121